الفصل الرابع:

"البنية والوحدات الدلالية"

– دراسة في التركيبة المنطقية الدلالية لثلاثية حكاية بحار–

أولا: الوحدات المعنوية الصغرى في الدلالة.

ثانيا: الوحدات الدلالية والباتيمية.

ثالثا: البنية والقيم الدلالية المنطقية.

تتحدّد الدّراسة في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة بتتبّع المسار السّيمي والباتيمي في البنية العميقة، وذلك باستخلاص المفاهيم السّيميائيّة المحايثة من البنية السّرديّة للثّلاثيّة، وكما درسنا المسار العاملي والاستهوائي في التّركيبة السّرديّة، وأدوار الممثّل وثنائيّة (التّقضيّة والتّزمين) في التّركيبة الخطابيّة فإنّه يمكن تحديد البنية والوحدات الدّلاليّة في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة.

فإذا كانت البنية السّطحية متعلّقة بدراسة مفاهيم المكوّن السّردي والمكوّن الخطابي، فإنّ البنية العميقة متعلّقة برصد الوحدات المعنويّة الصّغرى في الدّلالة، وكذا المربّعين السّيميائي والباتيمي، والوحدات الدّلاليّة والباتيميّة وبذلك يمكن أنّ نعتبر البنية الأوليّة الدّلاليّة كنموذج تأسيسي، وذلك بصفة مزدوجة: كنموذج تنظيم للدّلالة (إنّه منحاها المورفولوجي)، وكنموذج إنتاج الدّلالة في منحاها التّركيبي هذا بوصفها بنية عميقة تؤسّس مستوى التّركيب الأساسي[1].

وكما بادر "جوزيف كورتيس" إلى وضع المستويات السّيميائيّة من (البنية السّطحيّة والبنية العميقة للنّص السّردي) ممفصّلا إيّاها إلى تعبير ومحتوى كما في التّرسيمة الآتيّة[2]:

---

[1]– ينظر: أ.ج، غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية، (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص 11.

[2]– جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، ص 71.

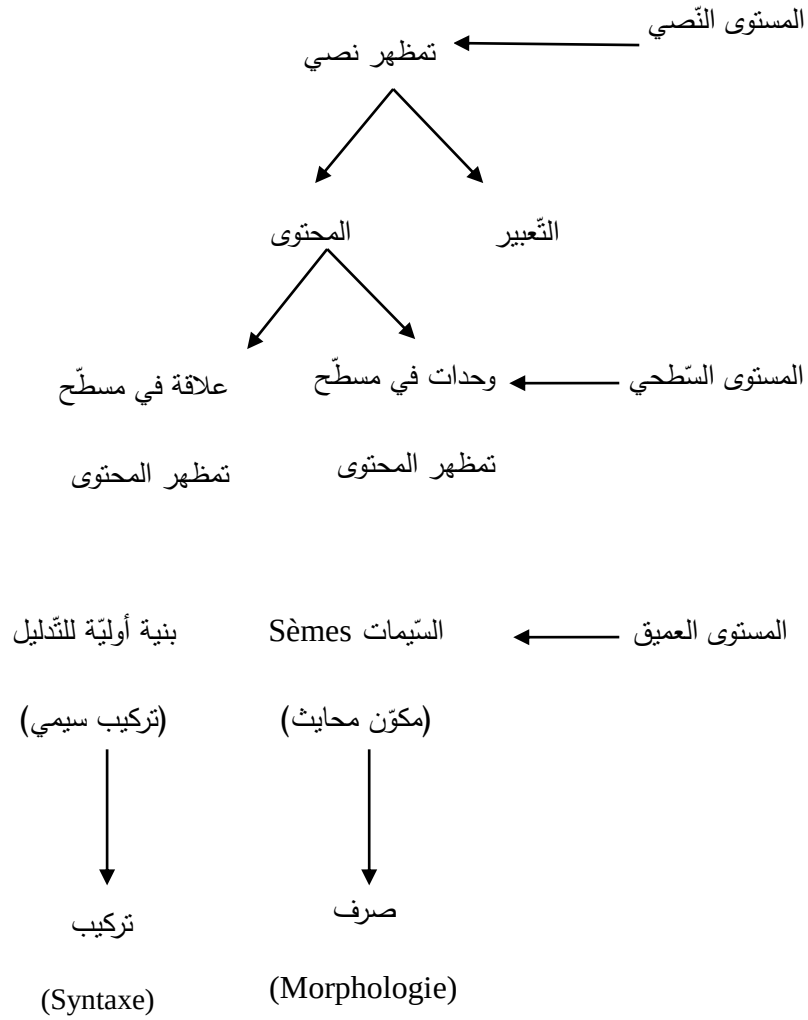

ومن التّرسيمة نلاحظ أنّ النّص السّردي يتمفصل إلى تعبير ومحتوى وإذا كان التّعبير يضمّ (سلسلة صوتيّة، ونظاما لسانيّا)، فإنّ المحتوى يضمّ (الدّلالة والنّحو)، وكما لا يمكن الفصل بين الدّال والمدلول، كذلك لا يمكن الفصل بين التّعبير والمحتوى للنّص باعتبار العلاقة الجدليّة الواردة بينهما وأيضا لا يمكن الفصل بين جوهر وشكل المحتوى؛ أي بين الجانب الدّلالي

والجانب النّحوي، ولا يمكن الفصل بين المستويات؛ لكونها تتلاحم فيما بينها في الدّراسة السّيميائيّة لتحليل النّص السّردي.

وفي هذه المسّألة نجد في كتاب (Analyse sémiotique des texes) تحديدا للعلاقة المتداخلة والمتكاملة بين المستويات السّيميائيّة في دراسة النّص، حيث نلحظ شبكة علائقيّة من المفاهيم الإجرائيّة بين البنية العميقة والبنية السّطحيّة كما في الشّكل الآتي[1]:

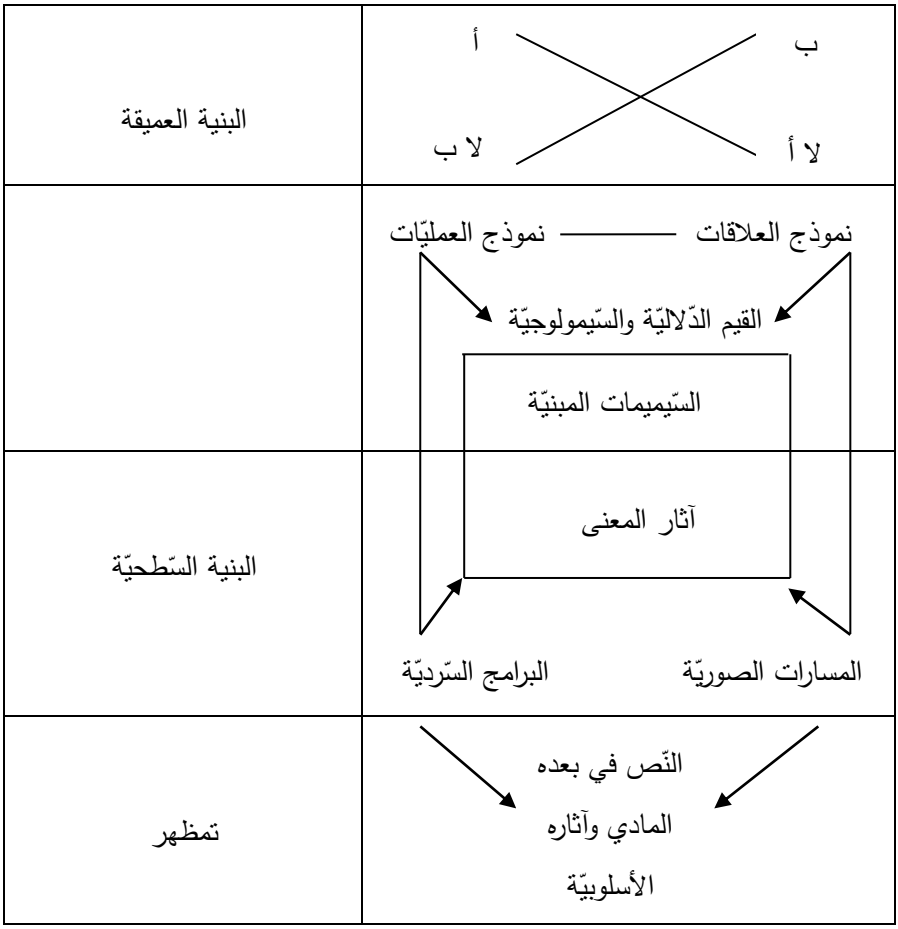

[1]– Groupe D Éntrevernes, Analyse sémiotique des texes, p:144.

تمثّل هذه الخطاطة المسار التّوليدي للدّلالة الذي ينطلق من البنية العميقة في وحداتها المعنويّة الصغرى ليتحرّك وفق ديناميكيّة عامليّة وخطابيّة وينتهي بالتّجلي عبر اللّغة أو المادّة المشكّلة للدّلالة مثل: (لوحة زيتيّة، شريط مرسوم، صورة...).

وبما أنّنا أمام مدوّنة سرديّة فإنّنا سنحاول الوقوف في البنية العميقة على دراسة التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة للثّلاثيّة بدراسة الوحدات المعنويّة الصّغرى في الدّلالة، ثمّ دراسة الوحدات الدّلاليّة والباتيميّة من خلال ثنائيّة (التّشاكل والتّباين) ثمّ استخلاص المربعين السّيميائي والباتيمي، وأخيرا البحث عن القيّم الدّلاليّة والمنطقيّة في البنية السّرديّة.

أولا: الوحدات المعنوية الصغرى في الدلالة:

إنّ الفحص الدّلالي لمفردة ما يوضّح لنا بأنّها تتمتّع بنواة مستقرّة نسبيّا ذات صورة نواتيّة انطلاقا منها تنمو بعض الاحتمالات الدّلاليّة، وبعض المسارات المفهميّة (Sémémiques) تسمح بوضعها في السّياق؛ أي بتحقيقها الجزئي في الخطاب، وبناء عليه فإنّ المأصل (Lexème) هو نظام معنمي (Sémique) احتمالي لم يتحقّق أبدا كما هوّ إلاّ مع وجود بعض الاستثناءات القليلة. عندما يكون مفهما مصغّرا (Mono-Sémémique) في الخطاب المتجلّي. فكّل خطاب منذ أن يطرح تشاكله الدّلالي (Isotopie Sémantique) الخاص به يعدّ استغلال جزئي جدّا للاحتمالات المعتبرة التي توفّرها مجموعة من المآصل (...) التي تستمرّ لتعيش وجودها الاحتمالي

علـى أتـمّ الاسـتعداد لتتبعـث مـن جديـد بمجـرد أقـلّ جهـد للـذّاكرة[1]؛ بمعنـى أنّ الوحدة الدّلاليّة حين تعود إلى أصلها الجذري تشكّل نواة تنمو بجوارها بعض من الاحتمالات لمسارات مفهميّة أو سيميمات أو معانم* متكوّنة من وحدات صغرى، وقد تكون هذه الوحدات بعيدة في مفهومها عن النّواة، لكن حين تعود إلى أصلها ومعناها في الذّاكرة تجد نفسها تقارب مفهوم النّواة، وبذلك فإنّها تشكّل فيما بينها تشاكلا دلاليّا، وتأسيسا عليه فإنّنا سنقوم بدراسة المعانم أو الوحدات الدّلاليّة الصّغرى ثمّ سنقف على دراسة التّشاكل.

1- السيمات (المعانم):

انطلق "غريماس" في دراسة البنية العميقة من التّقطيع إلى وحدات دلاليّة صغرى أطلق عليها تسميّة (المعانم) أو السّيمات[2] وليس للمعنم دلالة في حدِّ ذاته إنّما يكتسب دلالته من العلاقة القائمة بينه وبين وحدات معنميّة أخرى. فالدّراسة الدّلاليّة تقتضي في هذا المستوى تفكيك الوحدات المعانميّة إلى مكوّناتها الصّغرى المميّزة ووصولا إلى استخلاص حزمات من السّمات الدّلاليّة الأساسيّة[3] «وإذا قمنا بهذه العمليّة بالنّسبة إلى وحدات معجميّة تنتمي

---

[1]- ينظر: أ.ج. غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص 43.

* المعنم (السيم): وهو أدنى وحدة للدّلالة والتي لا يمكن أن تتحقّق خارج إطار وحدة للدّلالة أكبر منها إنّها المفهم (السيميم) في تحليل المدلول أيّ مستوى المحتوى أو ماهيّة المحتوى ينظر: عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 76.

[2]- ينظر: عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص87.

[3]- المرجع نفسه، ص 88.

إلى حقل دلالي واحد لاحظنا أنّ بعض المعانم المكوّنة لها يلتقي مع بعض وبعضها يختلف عن بعض أو يقابله مثل: الصّورتين التّاليتين (الأمل) و(اليأس) نلاحظ أنّهما تتّفقان في معنميين أوّلهما الإحالة على إحساس داخلي وثانيهما الاختصاص بالمستقبل مع وجود معنم يفرّق بينهما ويخصّ القيمة المضمّنة في كلتيهما حيث إنّ إحداهما تتضمّن قيمة إيجابيّة فيما تقيم الثّانيّة سلبا. وإن نحن تقدّمنا في التّحليل يتّضح أنّ السّمة الدّلاليّة المشتركة الأولى وهيّ الإحساس الدّاخلي تفرّق كلتيهما عن الوحدة اللّفظيّة (عمل) بناء على انتفاء السّمة الدّلاليّة المميّزة المعنيّة منها تفرّق السّمة الدّلاليّة الثّانيّة بينهما وبين لفظ (تذكّر) لخلوّه من السّمة المذكورة»[1].

وكما أشرنا في التّركيبة الخطابيّة فإنّ "غريماس" يُسمِّي النّواة الدّلاليّة (Noyau Sémique) المعانم الثّابتة، والمعانم السّياقيّة بالمعانم المتغيّرة القابلة للتّغيّر[2]. ويمكن توضيح هذه المعانم السّيمات كالآتي:

2- السيم النواتي والسيم السياقي (الكلاسيم):

يحتوي السّيميم على سيمات ثابتة وسيمات متغيّرة يطلق "غريماس" اسم النّواة السّيميّة على السّيمات الثّابتة، والسّيمات السّياقيّة على السّيمات المتغيّرة[3]، وينقسم السّيم إلى نوعين هما: السّيم النّواتي (Sème nucléaire)

---

[1]- عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص 88،89.

[2] - عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2010، ص76.

[3]- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 170.

والسّيم السّياقي (Sème contextuel) ولاستخلاص هذه السّيمات من الثّلاثيّة نقف على تحديدها كالآتي:

2-1- السّيم النّواتي:

يمكن ضبط السّيم النّواتي من خلال تلاحم مجموعةٍ من السّيمات التي تشكّل صور الصّورة الأساس وهيّ السّيمة النّواتيّة، حيث «يحتوي السّيميم على سيم نواتي وسيم سياقي، وفي محاولة معرفة البحث عن النّواة التي تضمّ السّيم النّواتي، فإنّ هذا يحدّد صورا نواتيّة تتوقّف على مدى إحصاء الكلمات من التّركيبة في تأسيس السّيميم»[1]، ومن الثّلاثيّة نقف على تحديد ثلاثة سيمات جوهريّة بالنّسبة للممثّل "سعيد حزوم" وهيّ: ("البحر"، و"كاترين الحلوة" و"صالح حزّوم")، ويمكن أن نأخذ هذه السّيمات كوحدات جوهريّة نواتيّة عند الممثّل "سعيد حزّوم" نقف على ضبط السّيم النّواتي لصورة (البحر) كما في المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**والبحر الأزرق تتراكض موجاته بتكاسل وتتلاشى على الشّاطئ، وسحر ليلة صيف ينتشر في الجوّ، تحرّكت في أعماق نوازع شوق إلى مصالحة الأشياء قبل السّفر...**»[2] .(...) «**كانت المدرسة قرب البحر هل مصادفة كانت المدرسة مبتلّة بالماء، فنحن لا نفارق الشّاطئ (...) في الصّباح حين نأتي المدرسة نمشي على السّاحل كأنّما نملأ من مرآه رئاتنا بعزم يعيننا على الدّراسة والحفظ وهكذا تقدّمت**

---

[1]– Voir, Algirads, Julie Greimas, Sémantique Structurale Recherche de Méthode, p: 50.

[2]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (حكاية بحار)، ص 267.

في صفوفي، وعمري وحبّي للبحر، كبرت وكبر معي، وحين أخذت الشّهادة الابتدائيّة كان كلّ شيء معدّا لأن أعمل في الميناء، لأن أصبح مستخدما في أحد المخازن البحريّة، أو أصبح بحّارا كوالدي، وأسافر مثله على متن أحد المراكب..»[1]. ويمكن ضبط السّيم النّواتي لصورة (البحر) كما في الجدول الآتي:

السّيم النّواتي	(البحر)
السّيمات النّواتيّة لصورة البحر.	– والبحر الأزرق. – تتراكض موجاته. – تتلاشى على الشّاطئ. – تحرّكت في أعماق. – الحروف التي تعلّمتها مبتلة بالماء. – لا نفارق الشّاطئ. – نمشي على السّاحل. – نملأ من مرآه رئاتنا. – لأن أعمل في الميناء. – مستخدما في أحد المخازن البحريّة. – أصبح بحّارا.

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 254، 255.

وتأخذ السّيمات (الأزرق، موجاته، الشّاطئ، أعماقه، الماء، السّاحل الميناء) في تشكيلها في مقاربة معنى السّيم النّواتي المتمثّل في (البحر) وهو سيم ثابت.

وكما يمكن تحديد صورة (كاترين الحلوة) كسيم نواتي بتتبّع السّيمات كما في المقطع السّردي الذي يجسّد حوار "البحّار العجوز" مع "سعيد حزّوم" حيث يقول له: «- **من يدري...أنت لا تعرف ماذا تدبّر كاترين الحلوة هذه امرأة داهيّة...**»[1]. وكما نجد "سعيد حزّوم" يقول في نفسه عن "كاترين الحلوة ": «**أي شوق إليها ما زال يعيش في صدري؟ لقد أحببتها، وكرهتها لكنّني كنت أسيرها، كانت جزءا من حياتي البحريّة في تلك السّنوات الرهيبة،...**»[2] (...)، «**إذا رحلت كاترين فسيحدث فراغ رهيب قنوط من عودة الوالد، فقدان المرأة الحبيبة..**»[3] (..)، «**المزج التّام بين البحر وكاترين هذه، في صورة واحدة، البحر هو كاترين...**»[4]، ويتّضح الضّبط السّيمي النّواتي لصورة (كاترين الحلوة) في الجدول الآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 50.

[2]- المصدر نفسه، ص 123.

[3]- المصدر نفسه، ص 146.

[4]- المصدر نفسه، ص 379، 380.

السّيم النّواتي	(كاترين الحلوة)
السّيمات النّواتيّة لصورة كاترين الحلوة.	- امرأة داهيّة. - أحببتها. - كرهتها. - كنت أسيرها. - جزءا من حياتي البحريّة. - فقدان المرأة الحبيبة. - البحر هو كاترين.

وتشكّل السّيمات (امرأة، داهيّة، أحببتها، كرهتها، أسيرها، حياتي الحبيبة، البحر) في مقاربة السّيم النواتي لصورة (كاترين الحلوة)، وهو سيم ثابت لمدى تعلّق "سعيد حزّوم" بها.

وتتّحد صورة "صالح حزّوم" كسيم نواتي من خلال تلاحم جملة من السّيمات النّواتيّة من خلال المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**والدي غائب مفقود ضائع في البحر، لكنّه ليس بغريق ولا ميّت...**»[1] (..)، «**... لقد حمل السّلاح دون أن يعرف أنّ هناك في كلّ أنحاء البلاد، كثيرين يحملونه، أدّى واجبه...**»[2]. ونجد البحّار "أحمد المستكفي" يقول "لسعيد": «**صالح ضحّى بحياته لأجلنا، لن ننسى هذا أبدا، الحيّ لا ينسى...افتدانا بروحه، ذهب**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 20.

[2]– المصدر نفسه، ص 50.

شـــهيدا يـــا بنـــي...»[1]. كـان"صـالح حـزّوم" صـاحب فكـرة البـاخرة وكان هو من يقوم بعمليّة الغطس بمفرده، حيث نجد البحّار "أحمد المستكفي" يقول "لسعيد" عن والده: «**... وشرح والدك فكرتـه: (أنـا أغطـس إلـى القـاع إلـى عنـابر البـاخرة، وأعـوم الصّـفائح، فـإذا طفـت علـى السّـطح خـذوها إلـى الشّـاطئ، وهنـاك نفكّـر بكيفيّـة تصـريفها...»**[2]، ويمكن تحديد السّيمات النّواتيّة لصورة (صالح حزّوم) كما في الجدول الآتي:

السّيم النّواتي	(صالح حزوم)
السّيمات النّواتيّة لصورة صالح حزّوم.	- والدي غائب مفقود...ضائع في البحر. - ليس بغريق لا ميّت. - حمل السّلاح. - أدّى واجبه. - ضحّى بحياته لأجلنا. - افتدانا بروحه. - ذهب شهيدا. - أنا أغطس. - أعوم الصّفائح.

ومـن الجـدول تشّـكل السّـيمات (والـدي، غائـب، مفقـود، ضـائع، لـيس بغريـق، ولا ميّـت، حمـل السّـلاح، أدّى واجبـه، ضـحّى بحياتـه، افتـدانا، شـهيدا

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 294.

[2]– المصدر نفسه، ص 292، 293.

أغطس، أعوم) السّيم النّواتي (لصالح حزّوم) والد "سعيد حزّوم"، حيث تبرز هذه السّيمات مدى تضحيّة هذا البحّار القدير لأجل أهله وبلاده، ومنه يعدّ السّيم النّواتي لصورة (صالح حزّوم) سيما ثابتا في شخصيّته وبطولته ومدى تعلّق "سعيد" به.

2-2- السيم السياقي (الكلاسيم):

ويُعدّ السّيم السّياقي النّوع الثّاني من السّيمات التي أشار إليها "غريماس" حيث «يتعلّق بسيمات لا تنتهي إلى الصّورة النّووية أي إلى النّواة اللاّ متغيّرة المعتبرة في ذاتها: إنّها محدّدة بالسّياق، فالكلاسيم هو سيم سيّاقي..»[1] والسّيم السّياقي هو سيم متغيّر بحسب السّياق يختلف عن نواة السّيمية التي تقوم على سيمات ثابتة، وفي تحديد ذلك نقف على المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**والدي...احتجب في مكان ما في البحر**»[2] (..)، «**البحر كالقدر كثيرا ما يدور بالإنسان...**»[3] (...) «**البحر ضحك عليّ، خدعني..**»[4] (...)، «**دخلت ميّاه البحر**»[5] (..) «**تكلّم البحر وغنّى الموج**»[6] (..)، «**لقد أصبح البحر في صدري في رئتي**

---

[1]- ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص 79.

[2]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 13.

[3]- المصدر نفسه، ص 14.

[4]- المصدر نفسه، ص ن.

[5]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 88.

[6]- المصدر نفسه، ص 100.

في دمي»[1] (...)، **«البحّار يكتب على الماء، البحر كتاب وقصص النّاس صفحاته ولو وجد من يقرأ صفحات الماء، فأية حكاية كان يستخرج؟...»**[2] (...)، **«مدرسة البحر على رؤوس الصّواري...»**[3] (...) **«سحب اليأس من البحر عند الإقلاع»**[4] (....) **«أنا أحترم البحر»**[5].

فالنّواة السّيميّة في هذه المقاطع السّرديّة هي لكسيم (البحر) فهو غير متغيّر، ولكن التّغير وقع في الحالات السّياقيّة التي ورد فيها «فإنّ تغيّرات المعنى منتجة من قبل هذا اللّكسيم لا يمكنها أن تتولّد إلا عن السّياق الذي يجب أن يحتوي على المتغيّرات السّيميّة التي هي وحدها القادرة على إبراز تغيّرات آثار المعنى التي يمكن أن نضبطها لنعتبر أنّ هذه المتغيّرات السّيميّة سيمات سيّاقيّة»[6]، وهذه السّيمات السّياقية يمكن تحديدها كما في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 116.

[2]– المصدر نفسه، ص 176.

[3]– المصدر نفسه، ص 190.

[4]– المصدر نفسه، ص 307.

[5]– المصدر نفسه، ص 309.

[6]– ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص 79.

النّواة السّيميّة	لكسيم (البحر)
السّيمات السّياقيّة المتغيّرة.	- مكان في البحر... - البحر كالقدر... - البحر ضحك عليّ.. - ميّاه البحر.. - تكلّم البحر... - البحر في صدري.. - البحر كتاب... - مدرسة البحر.. - سحب الياطر من البحر... - أحترم البحر....

وتشترك هذه السّيمات السّياقيّة المتغيّرة لمؤشّر سيميائي واحد يندرج ضمن مفهوم (البحر)، ذلك الأزرق بأمواجه وشاطئه، إلاّ أنّه ينتج لنا من هذه السّيمات السّياقيّة تباينا في أثر المعنى حيث ورد في المقاطع السّابقة ثلاثة أصناف: (حسي، ومعنوي، وبشري). فالبحر حسي كونه يشكّل (مكانا، كتابا، مدرسة)، والبحر معنويّ من خلال المعين: (كالقدر في صدري)، ويأخذ البحر في الصّنف الثّالث صورة إنسان من خلال المؤشّرات السّيميائيّة: (ضحك عليّ، تكلمّ، أحترم...). فالمعنى العميق في السّيمات السّياقيّة المتغيّرة للكسيم (البحر) في اتّساعه وهدوئه، ومنه الخير فهو مصدر رزق البحّار.

3- اللّكسيم الباتيمي:

تمثّل البنية الدّلاليّة الأوليّة الشّروط الضّروريّة لتصّور الدّلالة وامتداداتها، فلا يكون الاستهواء إلاّ بفضل إمكانات وجوده فيما هو أوسع من كليّته؛ أيّ من خلال الانشطارات الممكنة التي تتجاوز الواحد لتنفجر في المتعدّد[1]، ويمكن أن نحدّد اللّكسيم الاستهوائي من خلال المسار السّيميمي للسّيمات الباتيميّة.

ومنه يمكن ضبط اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) كحالة نفسيّة نتيجة مثير خارجي كما ورد لدى الممثّل "سعيد حزّوم" أثناء سماعه بغرق والده ونلاحظ في ذلك تشكيل المسار السّيمي الباتيمي الذي يتكوّن من خلال ظهور الباتيمات: (الخوف، والحبّ، والحقد، والأمل، والحزن)، حيث يضمّ سيميم (الخوف) سيمات كما في الملفوظ: «**صحّت وقد ارتعدت لفكرة غرقه ضربت على رئسي انفجرت باكيّا وشرعت أركض باتّجاه الباخرة...**»[2].(...) «**كان شعوران يتناوبانني: الخوف، والمبالغة في تقدير الخطر لتبرير الخوف...**»[3]. وسيميم (الحبّ) كما في قول "سعيد": «**أركض باتّجاه الباخرة معتزما البحث عنه بنفسي، ولو كلّفني ذلك حياتي**»[4] (..)، «**أتساءل وقد مضت أعوام كثيرة على ذلك الحادث هل حقّا أنا الذي أقدمت على البحث**

---

[1]– ألجيرداس،ج، غريماس، جاك فونتني، سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 39.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص296.

[3]– المصدر نفسه، ص 306.

[4]– المصدر نفسه، ص 293.

عن جثّة والدي في باخرة الشّحن الغارقة تلك؟، وكيف ألقيت نفسي إلى التّهلكة مدفوعا بعاطفة كبيرة، نصفها ناشئ عن شعور البنوة، ونصفها الآخر ناجم عن الإعجاب بذلك البحّار الذي كانه؟ الحبّ الكبير يصنع معجزاته دائما...»[1].

وسيميم (الحقد) من خلال قوله: «**استعدت مشاعر الحقد على السّلطة، كنت بحاجة إلى هذه المشاعر، الحقد على العدو، وقود داخلي..**»[2]. وسيميم (الأمل) كما في المقاطع السّرديّة: «**وفي أمل كذوب يداعب النّفس الملهوفة، رحت أتخيّل والدي سليما... ورجوت دون أي سند من قناعة أن تكون لوالدي قدرة على التّنفّس وهو تحت الماء وأن تقع معجزة كهذه**[3]. (...)، «**يسرّني ألاّ تكون الجثّة فيها، وأن يظلّ أملي بحياة والدي قائما... لكنّني سأغوص فيها أيضا لكي أعزّز هذا الأمل أجعله يقينا...**»[4].

وسيميم (الحزن) نحو قوله: «**أيّ شعور ينتاب المرء حين يعرف أنّ أباه قد مات!؟ (...) لقد مات صالح حزّوم... مات زينة الرّجال !...**»[5].

وحين تتضافر السّيمات تشكّل لنا المسار السّيميمي الباتيمي لصورة اللّكسيم الباتيمي (الانفعال)، ويمكن أن نلخّص ذلك في الجدول الآتي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 305.

[2]– المصدر نفسه، ص 327.

[3]– المصدر نفسه، ص 300.

[4]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 25.

[5]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 335.

اللّكسيم الباتيمي	الانفعال				
المسار السّيميم	الخوف	الحبّ	الحقد	الأمل	الحزن
السّـــيم الباتيمي	– صحت. –ارتعدت. – ضربت رأسي. – انفجرت باكيّا. – شرعت. – أركض. – الخوف. – تقدير الخطر.	– لو كلّفني ذلك حياتي. – كيف ألقيت نفسي إلى التّهلكة. – مدفوعا بعاطفة كبيرة. – شعور البنوة. – الإعجاب – الحب الكبير.	– مشاعر الحقد على العدوّ.	– أمل كذوب – لوالدي قدرة على التّنفس. – أن تقع معجزة. – أن يظلّ أملي بحياة والدي قائما. – أعزّز هذا الأمل.	– أباه قد مات. – مات صالح حزّوم. – مات زينة الرّجال.

وتشكّل السّيمات الاستهوائيّة في المسار السّيميمي الباتيمي لصورة اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) من خلال سيمات توضّح مدى قوة هذا الشّعور الدّاخلي الذي لازم "سعيد" والذي دفعه للبحث عن والده.

ويمكن أن نحدّد اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) للممثّل "الأمّ"، من خلال موقفها الرّافض لفكرة سفر ابنها "سعيد حزّوم"، ويتمثّل ذلك من خلال ظهور السّيميمات (الخوف، والكره، والغضب)، إذ نجد سيميم (الخوف) يتشكّل من سيمات كما في المقطع السّردي «**سأسافر يا أمي: فوجئت (...) انتصبت في جلستها وقد انقلبت سكينتها إلى التّوتّر (...) _ قالت نائحة: ياولي... تسافر كما سافر أبوك..**»[1]. وسيميم (الكره) المتمثّل في كره الأم للبحر كما في الملفوظ السّردي: «... **البحر غدّار، البحر عدوّ، لا تفكّر في السّفر...**»[2].

وسيميم (الغضب) من خلال حوارها مع ابنها «...**تقدّمت منه بوجه مكفهر، ومن عينيها يتطاير الشّرر صفعته بقوّة دهشت هي نفسها كيف واتتها صاحت: _ قلت لن تسافر..**»[3]، ولتوضيح اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) المتمثّل في ردّ فعل الأم من خلال ظهور حالات تتحدّد في المسار السّيميمي للسّيمات كما في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 270، 271.

[2]– المصدر نفسه، ص 271، 272.

[3]– المصدر نفسه، ص 272.

اللّكسيم الباتيمي	(الانفعال)		
المسار السّيميمي الباتيمي	الخوف	الكره	الغضب
السّيم	- انتصبت في جلستها. - انقلبت سكينتها. - نائحة. - يا ويلي.	- البحر أخذ نصيبه منّا. - البحر غدّار. - البحر عدو.	- وجه مكفهر. - من عينيها يتطاير الشّرر. - صفعته بقوّة. - صاحت: قلت لن تسافر.

ويمكن تحديد اللّكسيم الباتيمي (الغيور) للممثّل "الرّيس عبدوش" من خلال تجمّع المسار السّيميمي الباتيمي المتكوّن من سيمات باتيميّة (الشّك الغضب، الغيرة)، حيث نجد سيم (الشّك) الذي يقوم على سيمات دالّة على شكّ "الرّيس عبدوش" في كلام "كاترين الحلوة" التي طلبت منه عدم اصطحاب "سعيد حزّوم" معه كما في الملفوظ: «**قالت: - أريد أن تبقي سعيد هنا، في الميناء.**

صدمه الطّلب...

لماذا تريدينه أن يبقى؟.

رحمة بأمّه...

هم....

وقال في نفسه (بأمّه أم بك؟)..»[1].

ويتحدّد سيميم (الغضب) من تلاحم السّيمات الدّالة على غضب "الرّيس عبدوش" وانفعاله لوجود "سعيد حزّوم" كبّحار معه على المركب «**كان الرّيس عبدوش على الدّفة، ناور لإخراج المركب من الميناء، وصرخ بأوامره...انقلب من ذلك الهدوء... إلى كتلة من أعصاب مستنفرة، مستبدّة غاضبة، آمرة...**»[2].

ويتشكّل سيميم (الغيرة) من خلال تضافر السّيمات كما في المقطع السّردي: «...**وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه رفع يده وانتظر...مدّها وانتظر...وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل...**»[3]. وتجسّد المقاطع السرديّة المسارات السّيميميّة لسيميم (الغيرة) للممثّل "الرّيس عبدوش" والتي نوضّحها في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 297، 298.

[2]– المصدر نفسه، ص 304.

[3]– المصدر نفسه، ص 332، 333.

اللكسيم الباتيمي	(الغيور)		
المسار السّميمي الباتيمي	الشّك	الغضب	الغيرة
السّيم	– (صدمه الطّلب) السّيم: عدم توقع. – (لماذا تريدينه أن يبقى؟) السّيم: التّساؤل، الحيرة. – (هم.. بأمّه أم بك؟) السّيم: عدم التّصديق.	– (صرخ بأوامره) السّيم: الصّراخ. – (كتلة من الأعصاب) السّيم: شدّة العصبيّة . – (مستنفرة) السّيم: النفور/الكره. – (مستبدّة) السّيم: الاستبداد. – (غاضبة) السّيم: الغضب. – (آمرة) السّيم: آمر.	– (وشيء كالنّار يبرز من عينيه) السّيم: شدّة الغضب. – (والغيرة قد وشحت وجهه) السّيم: التغيّر. – (قطع الحبل) السّيم: الخداع/الانتقام.

ومن الجدول نجد السّيمات توضّح لنا المسار السّيميمي والباتيمي لكلّ من (الشّك، الغضب، الغيرة) للّكسيم الباتيمي (الغيور). ولعلّ (هوى الغيرة وهوى الخوف، وهوى الحبّ) هيّ من اللّكسيمات الباتيمية فكلّ من هوى الخوف وهوى الحبّ متعلّق بالممثّل "سعيد حزّوم" نحو والده "صالح حزّوم". وأمّا هوى الغيرة فهو متعلّق "بالرّيس عبدوش" نحو الممثّل "سعيد" حول الموضوع "كاترين الحلوة".

ثانيا: الوحدات الدلالية والباتيمية:

يقوم النّص السّردي على جملة من الوحدات الدّلاليّة التي تشكّل في علاقتها وفي تلاحمها معنى النّص، ويمكن استخلاص المعنى من البنية العميقة بدراسة مفاهيم التّركيبة الدّلاليّة في النّص السّردي، فمادام السّيم يشكّل وحدة الدّلالة القاعديّة فإنّه ليس له إلاّ وظيفة تمايزيّة، وبفعل هذه الخاصيّة فإنّه لا يلتقط إلاّ داخل مجموعة عضويّة أي في إطار بنية[1]، تشكّل حزمة من السّيمات التي من خلالها يتمظهر اللّكسيم، فإنّ هذه التّشكيلة من الوحدات المعنويّة الصّغرى متضمّنة وكامنة في الوحدات الدّلاليّة الأكثر تمظهرا كالتّشاكل والتّباين. ومنه سنحاول دراسة الوحدات الدّلاليّة والباتيميّة لثنائيّة (التّشاكل والتّباين) بين المسار السّيمي والباتيمي ثمّ دراسة المربّعين السّيميائي والباتيمي.

---

[1]– ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص 73، 74.

1- التشاكل والتباين بين السيمي والباتيمي:

يُعدّ التّشاكل والتّباين آليّة إجرائيّة سيميائيّة تحدّد العلاقة الكامنة بين الوحدات الدّلاليّة في سيّاق النّص السّردي، وتضمّ هذه الآليّة الوحدات المعنويّة الصّغرى، ومادام السّيم يتمفصل إلى سيم نواتي وسيم سيّاقي فإنّه يمكن أن نتكلّم عن نوعين من التّشاكل هما: (التّشاكل السّيمي والتّشاكل الباتيمي)، وهذا ما تتطلّبه الدّراسة السّيميائيّة دون الإشارة إلى الأنواع الأخرى كالتّشاكل والتّباين الصّوتي والتّركيبي، «إنّ التّشاكل هو مفهوم يخرج النّظام من سيّاقه الخارجي العام ولا يتعامل معه إلاّ بوصفه مجموعة من الوحدات تتماثل دلاليّا مع الاشتراك في التّراكيب السّيميّة»[1]. ويهدف تحليل التّشاكل الدّلالي إلى توضيح انسجام واتّساق الخطاب. فالتّشاكل الدّلالي في الخطاب يحقّق الانسجام والاتّساق ويلغي كلّ إمكانيّات الإبهام الدّلالي. ويتحقّق الانسجام نتيجة مختلف التّشاكلات الدّلاليّة التي تميّز الخطاب والتي يتمّ تحقيقها بفعل التّوارد المتكرّر لمجموعة من المقومات السّياقيّة، ويمكن تحديد التّشاكل من خلال إبراز نمو الخطاب الرّوائي وتوالده ذلك أنّ الخطاب حينما يحدّد إطارا متشاكلا فإنّ مقاطعه الأخرى تنمو وتتمطّط اعتمادا على هذا الإطار الأوّل حيث يتميّز الخطاب بتراكم قسري لمجموعة من الوحدات المعجميّة التي تندرج ضمن نفس الإطار الأوّل لكنّها تنتظم داخل مسارات تصويريّة هي التي تؤدي إلى تصوير البرامج السّرديّة والمسارات السّرديّة لعوامل السّرد، وتعمل

---

[1]– ينظر: قوتال فضيلة، التشاكل والفعل الاستعاري في النصوص الأدبية (سيميائيات) مجلة دورية محكمة تصدر عن مخبر السيميائية وتحليل الخطابات، منشورات دار الأديب جامعة وهران، الجزائر، ع2، 2006، ص 92.

هذه الوحدات المعجميّة في انتظامها داخل المسارات على توليد مقوّمات سياقيّة متشابهة، ممّا يحقّق على مستوى الخطاب مجموعة من التّشاكلات[1].

ويتأسّس التّشاكل على مستوى الخطاب بفعل التّوارد المتكرّر لمجموعة من "المقولات الدّلاليّة"، والتي يعني بها المقوّمات السّياقيّة (Classèmes) والمقوّم السّياقي بصفته مفهوما يندرج ضمن علم الدّلالة المصغّر (Micro sémantique) حسب تحديد "راستي" أو التّحليل بالمقوّمات عند المدرسة الأمريكيّة (كاتزوفودور) أو التّحليل المقوماتي عند المدرسة الفرنسيّة "غريماس" (L'analyse Sémique) ويهتمّ هذا الاتّجاه بتنظيم الوقائع اللّغويّة على المستوى الدّلالي بتأسيس تمايزات اعتمادا على السّمات المميّزة التي صاغتها السّيميائيّة السّرديّة بمفهوم (Sème) الذي يعدّ أصغر وحدة دلاليّة [2]. فيتحقّق التّشاكل بوجود وحدات دلاليّة متقاربة المعنى في مستوى الخطاب، «إذ يتوسّع عدد الوحدات التي تسهم في تحقيق التّشاكل بحيث يشمل تراكم المقوّمات السّياقيّة (المحدّدة عن طريق السّياق) والوحدات اللّغويّة (مستوى العبارة) وما يصطلح عليه "راستي" بالمقوّمات الخاصّة (Sèmes Spécifiques) التي ترادف "المقوّمات النّوويّة" (Sèmes mucléaires) عند "غريماس": كما أنّ المقوّمات السّياقيّة لا تنحصر في تكرار نفس المقوّمات السّياقيّة بل تشمل أيضا المقوّمات السّياقيّة المنتميّة لنفس المقولات السّياقيّة هذا التّوسّع الذي يقترحه "راستي" لمفهوم

---

[1]– ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب – الدلالة)، ص 91،92.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص94،95.

التّشاكل بإدماج مجموعة من الوحدات المتراكمة يستند عليه لتحديد مستوى التّحليل الذي يؤطّر ضمنه التّشاكل، إنّ تحقيق التّشاكل اعتمادا على تراكم الوحدات اللّغويّة والمقوّمات السّياقيّة ثمّ المقوّمات الخاصّة يعدّ مؤشّرا أساسيّا على كون التّشاكل يتحدّد على المستوى المركبي (الأفقي)، لأنّ مبدأ التّراكم الذي يخصّص نموّ الخطاب وتوالده واتّساقه لا يمكن أن يتحدّد إلاّ داخل هذا المستوى»[1].

وبذلك يتحدّد التّشاكل من خلال علاقة الوحدات الدّلاليّة المتراكمة في سيّاق الخطاب، ويمكن دراسة هذه الآليّة السّيميائيّة في الثّلاثيّة بين التّحليل السّيمائي (الدّلالي) والتّحليل الاستهوائي من التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة وبذلك نكون أمام دراسة هذه الآليّة بين المسار السّيمي والمسار الباتيمي.

1-1- التشاكل والتباين السيمي:

نحدّد ثنائيّة (التّشاكل والتّباين) السّيمي من خلال العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة الواردة في النّص السّردي، وفي الثّلاثيّة نقف على بعض الأمثلة ومن ذلك نأخذ المقطع السّردي لحوار"سعيد" مع والدته كالآتي: «- **سأسافر يا أمي:**

- سأسافر في البحر مع الرّيس عبدوش...»[2] .

---

[1]- ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب - الدلالة)، ص 101،100.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص270.

ونلاحظ في المقطع السّردي التّركيز على فكرة (السّفر)، ومنه يمكن أن نأخذ فكرة (السّفر) كسيم يتضمّن سيما آخر هو (الحركة) في الفضاء الإبحار في البحر، وفي إطار الفضاء يجب مقابلة (الثّبات) بمنع السّفر – موقف الأم– بقولها: «**لن تسافر..**»[1(2)] . ممّا يحدّد ذلك تباينا سيميّا بين (الحركة ≠ الثّبات). وتشاكل سيمي بين (السّفر=حركة)، وبين (رفض السّفر=ثبات).

ونجد التّشاكل والتّباين السّيمي في المقطع السّردي: «**والدي غائب مفقود، ضائع في البحر...**»[(2)]. ومن الملفوظ نلحظ وجود السّيم (مفقود) الذي يتضمّن سيما آخر هو (الغيّاب)، حيث يتمظهر التّشاكل السّيمي بين (مفقود=غيّاب)، ويقابل سيم (الحضور) سيم (الغيّاب) فيتشكّل بذلك تباين سيمي بين (غيّاب≠ حضور).

ونجد أيضا سيم (الغدر) لدى الممثّل "عبدوش"، وذلك أثناء قطع الحبل على "سعيد" لإغراقه في البحر كما في الملفوظ السّردي «**رفع يده وانتظر...مدّها وانتظر...وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل...**»[(3)] .

فنستخلص مفهوم (الغدر) من فعل "الريس عبدوش"، إذ يشكّل لنا (الغدر) سيما يتضمّن سيما آخر متمثّلا في (الشّر) يقابله سيم متمثّل

[(1)]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص272.

[(2)]– المصدر نفسه، ص20.

[(3)]– المصدر نفسه، ص 332، 333.

فـي (الخيـر)، فيحـدّد لنـا السّـيم (الغـدر) وجـود تشـاكل سـيمي قيمـي بـين (الغدر=الشّر)، ووجود تباين سيمي بين (الشّر≠ الخيّر).

ويحدّد التّشاكل السّيمي وجود وحدات تصويريّة تشكّل مسارا تصويريّا يتضاد أو يتماثل مع مسار تصويري آخر، ومن ذلك الملفوظ السّردي: «**صار الهمّ أكبر، وصار الشّقاء أكبر وصغر الأمل صغر حتّى انقطع...**»[1] حيث نجد تشاكلا سيميّا بين الوحدات التّصويريّة (صار الهمّ أكبر= وصار الشّقاء أكبر)، وهنا يرد تشاكل سيمي في حجم المشكلة والألم، ويردّ تباين بين الوحدات التّصويريّة (صار الهمّ أكبر وصار الشّقاء أكبر≠ وصغر الأمل حتّى انقطع). وذلك بين مفهوم حجم المشّكلة والألم الكبير وصغر الأمل حتّى انقطعت خيوطه، إلاّ أنّ كبر الألم وصغر الأمل هما مؤشّران لباتيم مشترك يتمثّل في اليأس والحزن.

ومن التّشاكل والتّباين السّيمي، المقطع السّردي: «– **حسبتك كنت مع والدي في الجبل.**

– **كنت على اتّصال معه وهو في الجبل.**

– **هل حدثّك عن نزوله إلى البحر؟...**»[2].

ففضاء (الجبل) كسيم يضمّ سيمات (ارتفاع، في البرّ، صعود....) أمّا فضاء (البحر) كسيم فإنّه يضّم (نزول، ماء..)، ومنه فالصّعود يحيل

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار، ص 118.

[2]– المصدر نفسه، ص 203.

إلى الحركة والنّزول أيضا يشير إلى الحركة ومنه فهناك تشاكل سيمي بين (الصّعود) و(النّزول) لوجود المشترك السّيمي (الحركة)، إلاّ أنّ هناك تباينا سيميّا في الملفوظ السّردي بين (صعود≠ نزول)، وبين فضائيين (الجبل≠ البحر)، فالأوّل مؤشّر لليابسة (البرّ)، والثّاني مؤشّر (للماء).

1-2- التشاكل والتباين الباتيمي:

ومن التّشاكل والتّباين السّيمي الذي يحدّد الوحدات الدّلالية في علاقتها المتمظهرة فيما بينها بين التّماثل والتّضاد، فإنّه يمكن أن نستخلص هذه العلاقات أيضا بين السّيمات الباتيميّة، حيث يهدف التّحليل السّيمي إلى ردّ المعاني والمدلولات إلى الحدود السّيميّة يعني إلى الشّبكات المنظّمة للحدود الابتدائيّة مثل: اللّكسمين الباتيمين (الأمل) و(الخوف)[1]، فصورة (الأمل) كمفردة معجميّة بمعنى إحساس نتصوّر من خلاله شيئا مناسبا لرغبتنا[2]، وتتمظهر صورة اللّكسيم الباتيمي (الأمل) في الثّلاثيّة في أمل "سعيد" في إيجاد والده كما في الملفوظ: «**والدي غائب مفقود، ضائع في البحر لكنّه ليس بغريق ولا ميّت.. يمكن أن نقول أيّ شيء إلاّ تلك الكلمة الرّهيبة: مات، سأقول لأمي: لم أعثر عليه... معنى هذا أنّ الأمل لم ينقطع قد لا يكون أملا حقيقيّا ولا أملا كاملا، لكنّه أمل على كلّ حال...**»[3] .

---

[1]– ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي إنجليزي، فرنسي). دار الحكمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2000، ص 167.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[3]– ينظر: حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 20.

ومن المقطع السّردي نلحظ السيّمات (لم أعثر عليه، الأمل لم ينقطع أمل على كلّ حال...)، وهي مؤشّرات دالّة على أمل "سعيد" في العثور على والده، في مقابل ذلك نجد اللّكسيم الباتيمي (الخوف) «وهو إحساس نتصورّ من خلاله شيئا خطيرا وغير مناسب لرغبتنا..»[1]، ويرد (الخوف) لدى الممثّل "الأم" التي ترفض فكرة سفره، وذلك لخوفها من فقدان ابنها كما في الملفوظ: «– **وأنا أقول لن تسافر يكفي فجيعتي بواحد...**»[2].

فاللّكسيم الباتيمي (الأمل) واللّكسيم الباتيمي (الخوف) لهما سيم مشترك هو (الإحساس) وسيم (رؤية المستقبل)، فاللّكسيم الباتيمي (الأمل) إحساس إيجابي لرؤية المستقبل بتفاؤل، وأمّا اللّكسيم الباتيمي (الخوف) إحساس سلبي لرؤية المستقبل بتشاؤم.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ الباتيم (الأمل) يتضمّن سيما باتيميّا (تفاؤل)، في المقابل نجد الباتيمين (الأمل=التّفاؤل)، وبين (الخوف=التّشاؤم) وتباين باتيمي بين الباتيمين (الأمل ≠ الخوف)، وبين الباتيمين (التّفاؤل ≠ التّشاؤم).

ومن أمثلة التّشاكل والتّباين الباتيمي في الثّلاثيّة، الملفوظ السّردي: «**فيما أن أحدّق في الجثّة الغريبة، وفي داخلي شعوران من حزن وفرح من خيبة وأمل ولم يلبث الأمل أن فاض في الذّات وخدعها كانت ذاتي**

---

[1]– ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي إنجليزي، فرنسي)، ص 167.

[2]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (حكاية بحار)، ص271.

مستعدّة لأن تخدع ما دام ذلك يعيد إليها الرّجاء....»[1]، ومنه فالاختلاف بين السّيمات الباتيميّة يؤدّي إلى إحداث اختلاف في آثار المعنى، وينبغي أن نحدّد السّيمات بالنّظر إلى علاقة بعضها ببعض، وتنتج الدّلالة انطلاقا من شبكة هذه الاختلافات[2].

2- المربع السيميائي والباتيمي:

حدّدت السّيميائيّة السّرديّة وجود مفاهيم وأدوات إجرائيّة في البنية العميقة، وما يُعرف في الدّراسة السّيميائيّة «هو أنّ للمكوّنات الأوّليّة للبنيات العميقة وضع منطقي قابل للتّحديد»[3] ويمكن أن نعتبر علم الدّلالة المنطقي كيفيّة أو أسلوبا للتّعامل مع بعض القضايا اللّغويّة التي نواجهها بالفعل وقد يتناول بمعنى التّضمّن أو الدّلالة الضّمنيّة[4]. ولعلّ من بين البنيات السّيميائيّة السّرديّة «يميّز "غريماس" البنيات السّيميائيّة السّرديّة التّركيبيّة (التّركيب السّردي الأساسي والتّركيب السّردي السّطحي)، والبنيات السّيميائيّة السّرديّة الدّلاليّة (الدّلالة الأساسيّة والدّلالة السّرديّة)، ومن المناسب النّظر إلى نظريّة المربع السّيميائي التي يقترحها "غريماس" كنموذج لشبكة علاقات

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (حكاية بحار)، ص 15.

[2]- ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي إنجليزي، فرنسي)، ص 169.

[3]- ينظر: غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص59.

[4]- بلمر (plamer)، علم الدلالة، تر: أحمد طاهر حافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، ط1، 2012، ص308.

الدّلاليّات الأساسيّة، وتبيين كيف أنّ المربّع السّيميائي قابل للتّماثل مع بعض أوجه التّركيب السّردي»[1].

فالدّلالة الأساسيّة قائمة على وجود المربّع السّيميائي الذي يعدّ بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدّلالة عن طريق سلسلة من العمليّات الإبداعيّة لمواقع متباينة (...)، فالمربّع السّيميائي قابل للتّماثل مع التّركيب السّردي السّطحي الذي يعدّ بنية انبثاق للدّلالة فهو نموذج تقسيمي يسمح بتمثيل نسق القيّم الذي ينظّم العالم الدّلالي الأدنى والذي هو مسرد في المستوى المؤنسن تبعا لضرورات التّركيب السّردي، (...) ولقد استخدم "غريماس" المرّبع من أجل تقديم تداخل العلاقات ما بين الحالات السّرديّة (مربّع الحالات) الذي يجسّد انتقال الذّات من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة لها في التّركيبة السّرديّة أو ما بين الأماكن أين يمكن أن تتموقع موضوعات القيمة (المربّع الموضعي للانتقالات)[2].

فالمربّع هو تمثيل للعلاقة بين الوحدات الدّلاليّة أو القيّم المنطقيّة الكامنة في عمق النّص السّردي؛ حيث «تستخلص الدّلالة من وجود علاقات الاختلاف والتّقابل القائمة بين حزمة من الوحدات الدّالة»[3] فكما لا يستقيم مفهوم الحياة إلا بمقابلته بالموت في الثّلاثيّة إذ تعدّ هذه الثّنائيّة البنية

---

[1]– أ.ج. غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، ص 150،151.

[2]– المرجع نفسه ص 151، 152.

[3]– ينظر: عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص 93.

الأساسيّة للدّلالة. وعلى هذا الأساس فالمربّع السّيميائي عند "غريماس" هو «التّمثيل البصري لعلاقات منطقيّة في المقولة السّيميائيّة لأيّ بنية...»[1] ويحدّده أيضا بأنّه «بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدّلالة عن طريق سلسلة من العمليّات الإبداعيّة لمواقع متباينة»[2].

فالمربّع السّيميائي يحدّد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة في النّص فهو كما يقول "رشيد بن مالك": «التّمثيل المرئي للتّمفصل المنطقي لأيّة مقولة دلاليّة»[3]. ومنه فالمربع السّيميائي هو آليّة إجرائيّة لضبط العلاقة بين الوحدات السّيمية الكامنة في ثنايا النّص أو حتّى الوحدات الباتيميّة باستخلاص المربّع الباتيمي.

ولعلّ الاستعانة بالمقوّمات السّيميّة والسّياقيّة، وتباين الصّور المعجميّة من خلال رصد مختلف التّشاكلات السّيميائيّة والاحتكام إلى المربّع السّيميائي لمعرفة طرائق توليد الدّلالة المنطقيّة، وذلك عن طريق تشغيل قيّم (التّضاد والتّقابل، والتّناقض، والتّضمّن)؛ لأنّ المعنى في السّيميائيّات لا يتولّد في الحقيقة إلاّ عبر الاختلاف، ويعنى هذا ربط المستوى الخطابي بالمستوى

---

(1)– Voir, A,J Greimas, J.courtés, Sémantique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p: 29.

(2)– ينظر: أ.ج. غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص151.

(3)– ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي انجليزي، فرنسي)، ص23.

المنطقي الدّلالي[1]. وكما استخلصنا المربّع السّيميائي في دراستنا للمسار العاملي والاستهوائي في التّركيبة السّرديّة، فإنّه يمكن ضبط ذلك في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة من خلال تحديد العلاقة بين الوحدات السّيميّة، والوحدات الباتيميّة وبذلك نكون أمام ضبط المربّع السّيميائي والمربّع الباتيمي ويمكن استخلاصهما من الثّلاثيّة كالآتي:

2-1- المربع السيميائي:

يتمّ استخلاص المربّع السّيميائي بتحديد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة الكامنة في البنية السّرديّة للثّلاثيّة، ومن ذلك نجد الوحدة الدّلاليّة (السّفر) كسيم يتضمّن أو يحتوي على سيم آخر هو (الحركة)، و(رفض السّفر) من قبل "الأم" بمعنى طلب (الاستقرار) لابنها "سعيد"، و(الاستقرار) كوحدة دلاليّة يتضمّن سيم (الثّبات) ومنه يمكن تحديد المربّع السيميائي كالآتي:

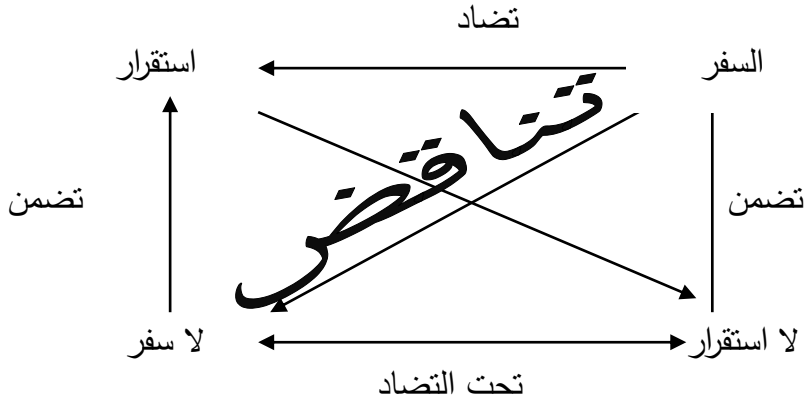

[1]- ينظر: جميل حمداوي، العامل والممثل، من الموقع http :Langhtiri,1965jeiran. com.

ومـن هـذه الوحـدات الدّلاليّـة (السّـفر، والاسـتقرار) حيـث تكشـف هذه الثّنائيّة التّناقض بين فكرة سفر "سعيد" وإصراره على إيجاد والده في مكان ما فيتنقل من بلد إلى آخر ومن مرفأ إلى آخر في حالة لا استقرار على أمل أن يجده قيد الحياة، وتتقابل فكرة السّفر وتتضاد بوجود فكرة الاستقرار "فالأم" تـرفض سـفر ابنهـا وتفضّـل اسـتقراره والعمـل فـي المينـاء والاكتفـاء بـذلك فهي في حالة رفض للسّفر لأنّها على يقين بأنّ والده توفيّ منذ زمن ولا جدوى من السّفر والبحث عنه، ويمكن استنباط مربّع سيميائي آخر من الثّنائيّة السّيميّة المتضـمّنة وهـيّ (الحركـة، والثّبـات) وتتحـدّد العلاقـة بـين هـذه الثّنائيّـة السّـيميّة كالآتي:

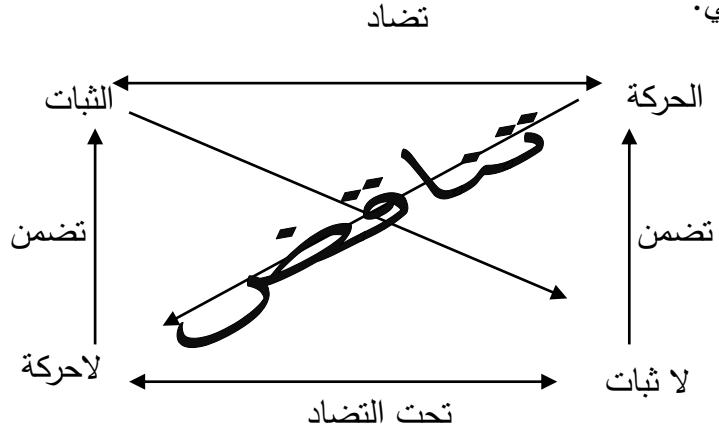

ففـي سـفر "سـعيد" وتنقّلـه مـن مكـان إلـى آخـر يكـون فـي حالـة حركـة أيّ لا ثبات، وفيما تفكّر فيه والدّته بطلب الاستقرار وعدم السّفر يكون "سعيد" فـي حالـة ثبـات؛ أيّ لا حركـة. وفـي البعد المعرفي نجد الممثّل "سعيد" ينتقل في البرنامج السّردي المعرفي من المرحلة الأولى في البحث عن والده (الاعتقاد بموته) إلى المرحلة الثّانية في البحث عن والده (الاعتقاد بأنّه على قيد الحياة) والأمل في العثور عليه، ومنه فإنّه يمكن استخلاص المرّبع السّيميائي من البعد

المعرفـي للممثّـل "سـعيد" فـي مسـيرة بحثـه عـن والـده مـن الاعتقـاد بموتـه إلـى الاعتقاد بأنّـه علـى قيد الحيـاة، وذلك من خـلال التّقابل السّيمي فـي ثنائيّة (الموت والحياة) للممثّل "صالح حزّوم" في البعد المعرفي "سعيد"، ويمكن ضبط ذلك كما في المرّبع السّيميائي كالآتي:

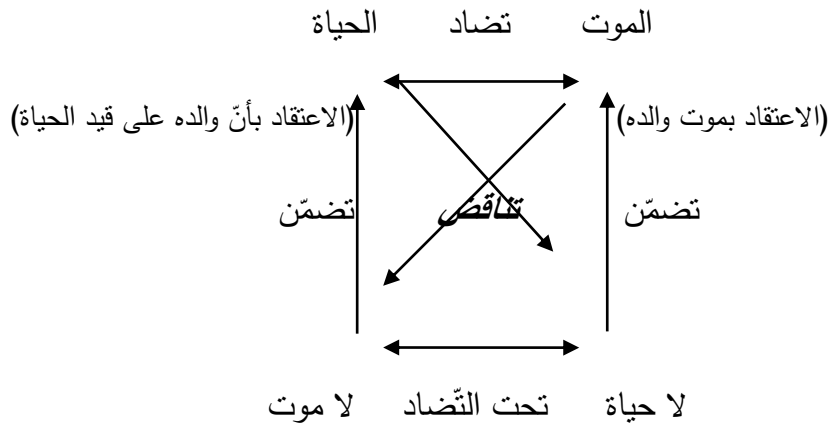

(اليأس في العثور عليه) (اكتشاف الجثّة بأنّها لبحّار فرنسي)

فـالمربّع السّـيميائي يمثّـل لنـا ثنائيّـة (المـوت والحيـاة) التـي تعـدّ البنيـة الأساسيّة للدّلالـة فـي عمق الثّلاثيّـة، وذلك فـي البعد المعرفـي للبرامج السّرديّة للممثّل "سعيد" فـي بحثـه عن والده من المرحلـة الأولـى (الاعتقاد بموت والده) إلى المرحلة الثّانيّة (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة).

وكـان تجسـيد المرّبـع هنـا بحسـب اعتقـاد الممثّـل "سـعيد" (فـي البعـد المعرفي) لوضعيّة والده، إلاّ أنّ الممثّل "صالح حزّوم" في حقيقة أمره قد انتقل من وضعيّة (الحياة) قبل عمليّات الغطس والغوص المتكرّرة في الباخرة الغارقة إلـى وضـعيّة (المـوت) بسـبب ذلـك، ومنـه فـإنّ تحـوّل وضـعيّة "صـالح حـزّوم"

من حالة (الحياة) إلى حالة مضادّة لها هيّ (الموت)، ومنه يمكن تمثيل مربّع الحالات لوضعيّة "صالح حزّوم" كالآتي:

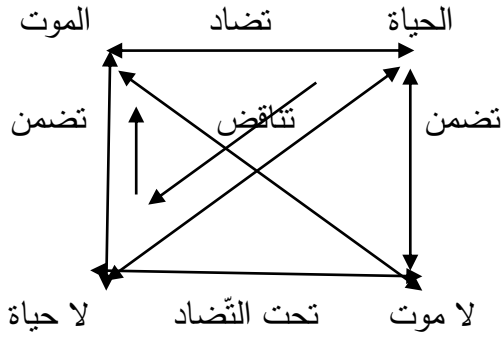

وعلى هذا الأساس فإنّه يمكن من السّيم (وحدة معنويّة صغرى) أنّ نستخلص ما يقابله وما يتضمّنه من سيمات تشكّل بدورها شبكة عقائديّة من الوحدات الدّلاليّة التي تتوزّع في علاقتها الدّاخليّة الكامنة في النّص السّردي ويعدّ المرّبع التّمثيل البصري للعلاقة بين الوحدات الدّلاليّة الكامنة في ثنايا وأغوار النّص السّردي.

2-2- المربع الباتيمي:

ويتمّ ضبط المربّع الباتيمي باعتباره يُحدّد العلاقة الباتيميّة بين الوحدات الاستهوائيّة في الثّلاثيّة، ومن ذلك نجد في البرنامج الاستهوائي للممثّل "سعيد" تجسيدا لصورة (الأمل) في المرحلة الأولى والمرحلة الثّانيّة (الأمل في إيجاد والده على قيد الحياة)، فكانت البرامج السّرديّة المساعدة للممثّل "سعيد" لتحقيق البرنامج السّردي المعرفي الأساس (البحث عن والده والأمل في العثور عليه)

فالأمـل هنـا كلكسـيم بـاتيمي يتضـمّن (التّفـاؤل) الـذي يقابلـه لكسـيم (اليـأس) من عدم العثور عليه، ويمكن ضبط ذلك في المربّع الباتيمي كالآتي:

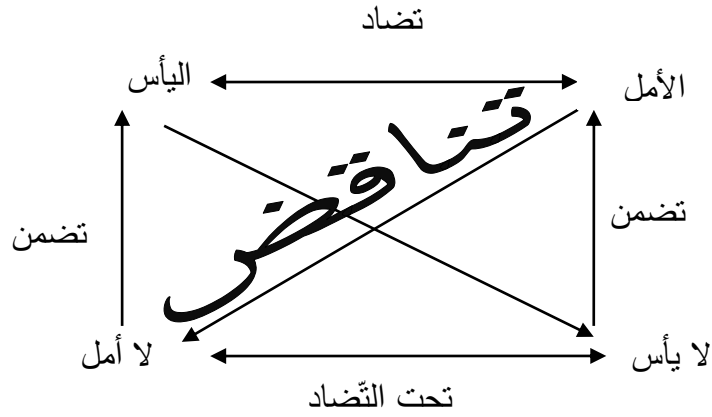

ومنـه فإنّ من الوحدات الباتيميّة والاستهوائيّة في البرنـامج الاستهوائي للممثّل "سعيد" ثنائيّة: (الأمل، واليأس) التي تشكّل البنية الأساسيّة الاستهوائيّة في الثّلاثيّة، ومن هذه الثّنائيّة يمكن استنباط مربّع باتيمي آخر يجسّد ثنائيّة باتيميّـة متضـمّنة وهـيّ: (التّفـاؤل، والتّشـاؤم)، ويمكـن تحديـد العلاقـة بـين هذه الثّنائيّة كالآتي:

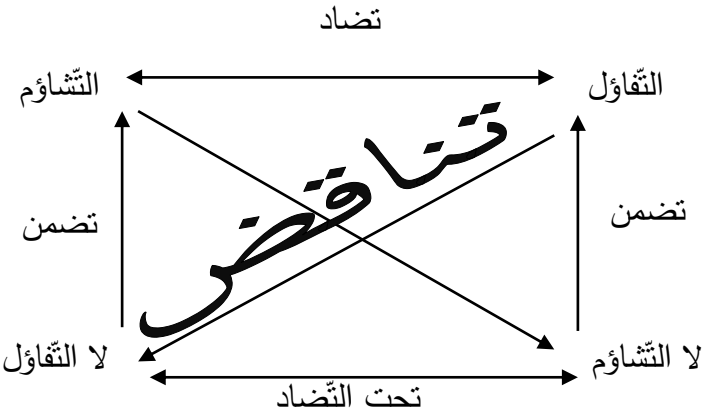

ومن خلال الشّعور الدّاخلي للممثّل "سعيد" بالتّشاؤم والحزن أثناء استخراجه للجثّة التي اعتقد بأنّها لوالده في البداية ثمّ يتغيّر الشّعور إلى التّفاؤل والفرح أثناء اكتشاف الجثّة بأنّها لبحّار (جندي فرنسي) كما في الملفوظ السّردي: «**فيما أنا أحدّق في الجثّة الغريبة، وفي داخلي شعوران من حزن وفرح...**»[1]. وبذلك يمكن استخلاص المربّع الباتيمي من السّيمات الباتيميّة (الحزن، الفرح) من علاقة تناقض وتداخل في آن واحد للحالة النّفسيّة للذّات الاستهوائيّة للممثّل "سعيد" كالآتي:

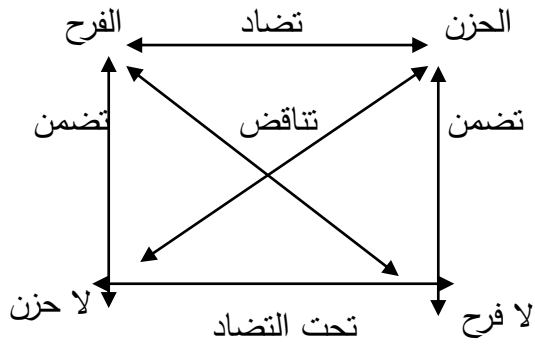

وفي الثّلاثيّة نجد تعلُّق "سعيد حزّوم" (بوالده، وكاترين، والبحر) ومن ذلك المقاطع السّرديّة: «**والده، كاترين والبحر هذا هو الثّالوث الذي شغله وسيظلّ يشغله...**»[2](..) «**حين أفكّر بكاترين الحلوة يسيطر القلب...**»[3] «**البحر هو كاترين: والباخرة كانت رمز للاثنين: كتب الطّبيب في تقريره**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 15.

[2]– المصدر نفسه، ص 349.

[3]– المصدر نفسه، ص 380.

ما يلي (من عوامل الشّفاء اللّقاء بكاترين أو العودة إلى البحر)»[1] **(..) «وانفتحت يوما بعد يوم شهيّته للكلام للحديث عن والده، وكاترين والبحر والسّفر الطّويل...»**[2] ومن المقاطع السردية يمكن استخلاص اللّكسيم الباتيمي (الحبّ) من خلال شعور "سعيد" الدّاخلي نحو (والده، وكاترين والبحر).

فإذا عزّزنا شعور الحبّ كلكسيم باتيمي لدى الممثّل "سعيد" فإنّنا ننفي بالضّرورة اللّكسيم الباتيمي (الكره)، ونعزّز بذلك وجود الودّ والميل الشّديد الذي يتمظهر من خلال علاقة الرّغبة بين الذّات الاستهوائيّة والموضوع القيمي ويمكن تحديد العلاقة بين اللّكسيمين (الحبّ) و(الكره) كما في المربّع الباتيمي الآتي:

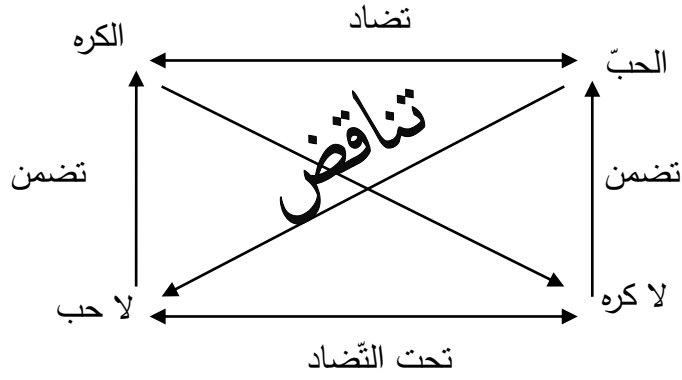

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص380.

[2]– المصدر نفسه، ص388.

وعلى هذا الأساس فإنّه يمكن القول ما دام المربّع السّيميائي يحدّد العلاقة بين ثنائيّة دلاليّة فإنّ المربّع الباتيمي يحدّد العلاقة بين ثنائيّة باتيميّة وعليه فإنّنا نجد الباتيمات مكملة للسّيمات في تحديد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة في الملفوظ السّردي، وتظلّ ثنائيّة (الموت والحياة) الجوهريّة في البنية الأساسيّة السّرديّة والدّلاليّة، وثنائيّة (الأمل واليأس) الجوهريّة في البنية الأساسيّة الاستهوائيّة.

ثالثا: البنية والقيم الدلالية والمنطقية:

تتحدّد الدّلالة بوجود العلاقة الكامنة بين الوحدات الدّلاليّة في البنية السّرديّة، «فالدّلالة لا تكترث للمادّة الحاملة لها وهذا معناه أيضا أنّ البنية في جميع الحالات هي شبكة من العلاقات الحاضنة لمجمل الرّوابط الممكنة بين الحدود التي تكوّنها (التّشابه والتّقابل)، إنّها تشير بذلك فيما هو أبعد من ظاهرها إلى ما يمكن أن يساعدنا على وضع اليد على الأشكال التّنظيميّة الأولى للدّلالة من جهة وما يقودنا إلى الكشف عن (الشّروط الأوليّة لإنتاج الدّلالة والإمساك بها) من جهة ثانيّة، وفي الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثّانيّة تتحدّد المعالم الأساسيّة (المسار التّوليدي) الذي يلخصّ مجمل التّحوّلات التي تلحق هذه البنية، ويشير في الوقت ذاته إلى قدرته على استيعاب هذه التّحوّلات ضمن نسق يحدّ من امتداداتها وانتشارها الفوضوي (التّناظر)..»[1]. فالبنية السّرديّة تحمل في ثناياها قيّما دلاليّة كامنة، ويتمّ

[1]– ألجيرداس، ج، غريماس، جاك فونتني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 22.

الكشف عنها انطلاقا من فهم النّص وضبط العلاقة بين وحداته الدّلاليّة في التّركيبة السّردية، ويمكن أن ننظر إلى البنية «باعتبارها سننا (**code**) يكثّف داخلها مجموع التّحقّقات الممكنة للظّاهرة الواحدة فهي من هذه الزّاوية سيرورة لأنّه يستولي على السّلوك في فرديّته ويحوّله إلى إطار عام يفسّر كلّ الأنواع السّلوكيّة المشابهة، وهيّ من زاوية ثانيّة نتاج لهذه السّيرورة لأنّ وجودها مرتبط أصلا بوجود النّسخ المتحقّق في أيّ سلوك..»[1]. ويتمّ تفكيك شفرات البنية السّرديّة للبحث عن الدّلالة الكامنة والمتخفيّة في حيثياتها والحامل للقيّم والكثير من المعاني والمفاهيم ذات أثر إمّا إيديولوجي، أو سيّاسي أو سوسيّو ثقافي أو نفسي، ومن القيّم الدّلاليّة الكامنة في البنية السّرديّة نذكر:

1- الأثر الأيديولوجي والإكسيولوجي:

لقد ميّز "غريماس" بين هذين المكوّنين "الأيديولوجيا" و"الأكسيولوجيا" في دراسته للقيّم الكامنة في النّص السّردي وعليه، فقبل تحديد القيّم الدّالة على الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي فإنّه يجدر بنا أوّلا أنّ نضبط مصطلح (الأيديولوجيا)، فالمصطلح يتشكّل لغويّا من كلمتين لاتينيتين هما: (**Idéo**) بمعنى فكر و(**Logie**) بمعنى علم، وتعني حسب التّرجمة العربيّة (علم الأفكار)، ويعود نحت هذا المصطلح أو التّركيب إلى المفكر الفرنسي "دستوت دي تراسي" (Destutt de tracy) سنة (1817)، وما زالت الأيديولوجيا في مرحلة البحث عن الأسس والخصائص والمميّزات التي تجعلها علما قائما

---

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، مطبعة فضالة، دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 1996، ص 07.

بذاته، بل هي فضلة (Résidu) من فضلات العلوم الإنسانيّة على حدّ تعبير المفكّر الفرنسي "ف.دومون" (F.Dumont)[1].

وإذا انطلقنا من وجود علاقة تأثير وتأثّر بين الأيديولوجيا والعمل الرّوائي، فإنّ من حوامل الأيديولوجيا في العمل الروائي كما أشار إليها "إبراهيم عباس" هي: (الزمان، والمكان، والحبكة، والشّخصيّات، والحوار، والسّرد والرّمز..) فكلهّا حوامل للأيديولوجيا ومظهر لها، يمكن من خلالها أن يبدي الرّوائي ما يريد وأن يخفي ما يريد، والأديب المبدع لا يكتب نصّه وهو خال من أيّ توجّه أيديولوجي، فهو ليس بريئا تمام البراءة ،لأن توجّهه يشكّل جزءا من شخصيّته وثقافته، وفكره، وأدواته اللّغويّة[2]، ولعلّ ما يميّز العمل الرّوائي هو وجود أثر للبعد الإيديولوجي، وعليه فإنّ كل عمل روائي ما هو إلا إنتاج أيديولوجي له لفته خاصة وعلاماته ورموزه التي يتحكم فيها الفضاء والزّمن أو ما يطلق عليه الألسنيون السّياق اللّغوي الذي يفسح المجال من جانب آخر على اللّحظة التّاريخيّة[3].

ولعلّ طريقة تنظيم المعنى في السّياق اللّغوي للعمل الرّوائي يحدّد الطّبيعة الأيديولوجيّة للمعنى، ومنه فإنّ «الأيديولوجيا كما يوضّح ذلك "إليزيو فيرون" (Eliseo veron): ((ليست سجّلا لمضامين (الإدارة، والمواقف

---

[1]– ينظر: أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر الجزائر، دط، 2001، ص 27، 28.

[2]– ينظر: إبراهيم عباس، الرواية المغربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد، للكتاب، الجزائر، ط1، 2005، ص 57.

[3]– ينظر: أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، ص 41.

أو حتّى التّمثيليّات) بل هي قواعد (grammaire) لتوليد المعنى؛ أي استثمار للمعنى في مواد دالّة ولا يمكن تبعا لذلك تحديدها من خلال المضامين))، وإنّ طريقة التّوليد هاته تفرض أصلا أو مادّة تشكّل منطلق بناء النّص...»[1]. وتعرّف الأيديولوجيا في المفهوم السّيميولوجي بأنّها القيّم في وقائع خاصّة وإعادة تعريفها بمعنى حذف لخصائص أو إضافتها إلى ما يشكّل المدخل الرّئيس لتعريف الظّاهرة من خلال استحضار تجربة محسوسة تعدّ اغتناء للأصل المولد وتنويعا له[2]. ومنه «فإنّ إنتاج أثر دلالي ما (أيديولوجي) لا يعود إلى المدلول ككيان مكتف بذاته بل يعود إلى الصيّاغة التي تُقّدم له، وبعبارة أخرى فإنّ الملفوظ لا يستنفذ كامل إمكاناته الدلاليّة إلاّ من خلال الآثار التي تتركها الذّات المتلفظّة لحظة إنتاجها لهذا الملفوظ»[3].

وكما أشرنا إلى مفهوم (الأيديولوجيا) من جهة، فإنّ مفهوم (الأكسيولوجيا) من جهة ثانيّة يحدّده "غريماس" بقوله: «(نعني بالأكسيولوجيا عامّة نظريّة، أو وصف أنساق القيّم سواء كانت أخلاقيّة أو منطقيّة أو جماليّة)»[4]، وكلّ منها؛ أي الأيديولوجيا والأكسيولوجيا مقولة تشير إلى نمط

---

[1]– سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الجزائر، 2003، ص 159.

[2]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 08.

[3]– المرجع نفسه، ص 27.

[4]– المرجع نفسه، ص 45.

معيّن لتنظيم القيّم رغم انتماء المقولتين معا إلى كون واحد[1]. وذلك لكونهما «يغطّيان نفس المادّة المضمونيّة ويتعلّق الأمر بالحالة التي يطلق عليها (الأكسيولوجيا) فهي نشاط يقوم بتنظيم أو وصف القيّم في مستوى تجريدي عام وهذا المستوى يتميّز بانفصاله التّام عن أيّ سيّاق، إنّ الأكسيولوجيّا تبعا لهذا التّحديد عمليّة يتمّ فيها الإمساك بالكون الدّلالي عبر حدود تنظيميّة تلتقط الوجود الإنساني عبر مفاصله المضمونيّة الكبرى وتشكّل الأيديولوجيا في المقابل الوجه المشخّص لهذه القيّم، أو التّجسيد الفعلي للمادّة المضمونيّة داخل حدود زمنيّة وفضائيّة تمنح القيّم لونا وطعما وخصوصيّة، إنّ التّشخيص هنا هو إدراج القيّم المجردة ضمن سيّاقات خاصّة فالفعل الخاص يحتاج إلى سيّاق خاص يميّزه ويستمدّ منه فرادته»[2].

ويمكن الاعتبار بأنّ الأكسيولوجيا هي البحث عن القيّم المجرّدة والمعنويّة الكامنة في حيثيّات النّص، وفي المقابل الأيديولوجيا تبحث في القيّم الحسيّة داخل السّياق، ومنه «إنّ القيّم التي تعود إلى الأكسيولوجيا هيّ قيّم محتملة وتعدّ نتاجا للتّمفصل السّيميائي للكون الدّلالي الجماعي وبهذا فإنّ وجودها يتحدّد داخل البنيات السّيميائيّة العميقة إنّها تشير إلى نمط الوجود الاستبدالي (Paradigmatique) للقيّم، ويمكن القول أنّ كلّ مقولة ممثّلة في المربّع السّيميائي (حياة، وموت) مثلا قابلة لأن تأخذ طابعا

---

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 37.

[2]– سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 157.

أكسيولوجيا بفضل استثمار الحدود الإيجابيّة والسّلبيّة المحدّدة للحالة الوجدانيّة المتمحورة حول (قبول، رفض)»[1].

وباعتبار الأكسيولوجيا تبحث في القيّم المجرّدة والذّهنيّة والمعنويّة فإن لها السّبق في تنظيمها الأوّلي للعناصر التي تعطي للحياة بعدها الإنساني (..) في حين يرتبط الفعل الخاص بالسّياقات المميّزة للتّجربة الفرديّة وهذه السّياقات الخاصّة هيّ ما يشكّل عند "غريماس" الوضع المحسوس والملموس للقيّم، وهذا الوضع يدرك من خلال فعل ما، وهذا ما يشكّل للأيديولوجيا ويمكن أن نمثلها كالآتي[2]:

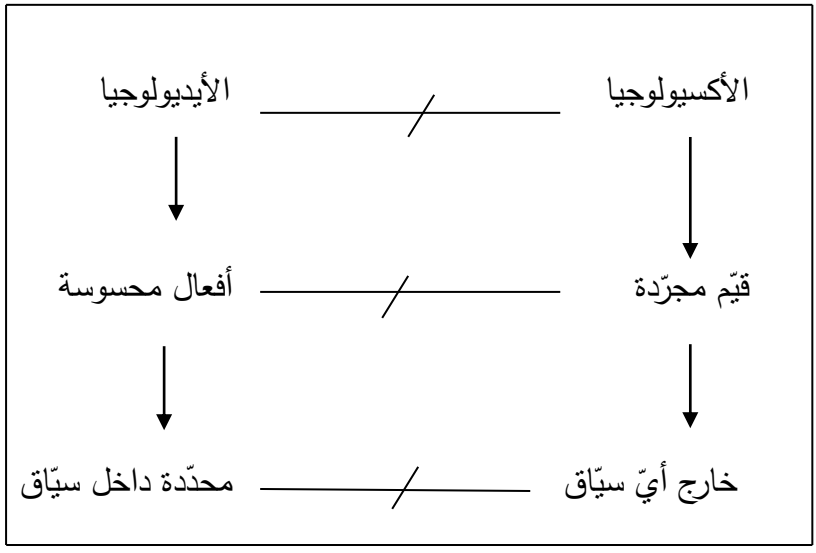

فالأكسيولوجيا تختلف عن الأيديولوجيا وذلك لأنّها تقوم على وجود قيّم مجرّدة تكون خارج أيّ سيّاق أمّا الأيديولوجيا فتقوم على وجود أفعال محسوسة

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 37.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 39.

تكـون محـدّدة ومنظّمـة داخـل السّـياق، ومنـه سـنحاول ضـبط قـيّم المكـوّنين (الأكسيولوجيا والأيديولوجيا) من البنية السّرديّة للثّلاثيّة من خلال تجلٍ صريح لها أو من خلال وحدات دلاليّة حاملة للقيّم، ومن ذلك نأخذ المقاطع السّرديّة: **«أيّها البحر! أنت كنت شاهدا هنا. كما ستكون شاهدا في فلسطين، فرنسا في سورية، وبريطانيا في فلسطين، زحف الأتراك على اللّواء، وزحف اليهود على فلسطين... المقص يعمل في خريطة سوريّة، قطعة من الشّمال، قطعة من الجنوب...ونحن؟ أين العرب؟ أين الحكومة؟ أين دمشق؟ أين عصبة الأمم؟»**[1] **(...) «وعندما حدثت نكبة فلسطين نسو نكبتنا بل نسيناها نحن أنفسنا...»**[2]. ونجد "قاسم" يقول "لسعيد": **«...القصة طويلة يا سعيد...المؤامرة كانت مبيتة منذ العشرينات، ففي عام 1923، عندما عقدت فرنسا اتفاقيّاتها مع تركيا، ألحق بها ذيل سرّي يتضمّن وعدا بتسليم اللّواء إلى تركيا في ظروف دولية مؤاتيّة...»**[3].

يبدو الأثر الأيديولوجي واضحا وصريحا في المقاطع السّرديّة بوصف وتصوير الحقائق التّاريخيّة للواقع في سورية أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة وقد استخدم الرّوائي الشّخصيّات كبوق يتكلّم من خلاله عن أفكاره الأيديولوجيّة فنجد الممثّل "سعيد" لا يحمل بعد أيديولوجيّا فهو يجهل الأمور والقضايا السيّاسيّة، في المقابل الممثّل "قاسم" يحمل فكرة أيديولوجيّة كونه يزرع الوعي السّياسي لدى الشّباب وإذ به يلتقي "سعيد" ونجد هذا الأخير يقول:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 114.

[2]– المصدر نفسه، ص118.

[3]– المصدر نفسه، ص 205.

«كانت مفاجأة قاسم ذو الرقاقة اللّحميّة بين الإصبعين، خفق قلبي للقائه هذا من الماضي، من الرّجال الذين وثق بهم والدي، من الذين نذرو أنفسهم لنشر الوعي في النّاس...أهلا أهلا..»[1]، إلاّ أنّ "قاسم" كان مطاردا من قبل السّلطات الفرنسيّة حتّى انتهت المطاردة بمقتله: **«وقع ما هو أسوأ، وقع ذلك الشّيء الذي كنت أخشاه مات قاسما غرقا! الأصح أنّهم قتلوه ورموه في البحر وبعد أيّام ظهرت جثّته على الشّاطئ، وفي جسمه طعنات الخناجر (...) النّاس يتجمعون حول الجثّة، الحكومة حضرت، والتّحقيق بدأ وفي الأمر جريمة...»**[2] **(...) «...للجريمة علاقة بنشاط قاسم السّياسي الجريمة سيّاسيّة تماما..»**[3].

ومن المقاطع السّرديّة نجد تنظيما للقيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة في نسق لغويّ صريح ومباشر يحمل أثرا أيديولوجيّا من خلال وجود الوحدات الدّلاليّة للملفوظ السّردي، وتشير هذه الوحدات إلى ومضة تاريخيّة سياسيّة للواقع السّوري أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة ويمكن استخلاص الطّبيعة الأيديولوجيّة للقيّم داخل وحدات السّياق في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 52.

[2]– المصدر نفسه، ص 197.

[3]– المصدر نفسه، ص 199.

الأثر الأيديولوجي		
السّياق	داخل وحدات السّياق	القيّم الحسّية
– فرنسا في سوريا وبريطانيا في فلسطين. – زحف الأتراك على اللّواء وزحف اليهود عل فلسطين. – المقص يعمل في خريطة سورية قطعة من الشّمال وقطعة من الجنوب... – وعندما حدثت نكبة فلسطين نسوا نكباتنا بل نسيناها نحن أنفسنا.. – فرنسا بحجة الحرب باقية في سورية . – في عام 1923 عندما عقدت فرنسا اتفاقيّتها في تركيا ألحق بها ذيل سريّ	– في سوريا...في فلسطين. – زحف الأتراك.. وزحف اليهود عل فلسطين.. – .. يعمل في خريطة سورية.. – حدثت نكبة فلسطين – بحجّة الحرب – عقدت فرنسا اتفاقيتها	– الاستعمار – الاحتلال – تقسيم سورية القضية الفلسطينية – الحرب – اتفاقيّة – الثورة/ فشل المقاومة

يتضمّن وعدا بتسليم اللّواء إلى تركيا... – الثّـــورة السّـــوريّة انطفأت باكرا. – تقسيم سورية إلى دويلات إداريّة.	– الثّورة السّوريّة... – تقسيم سورية..	– تقسيم الدّولة السّورية.

وتشير القيّم إلى وحدات دلاليّة «تحيل في مجملها على الكون الدّلالي الذي تحيل عليه الأيديولوجيا»[1] في البنية السّرديّة مثل: (الاستعمار الاحتلال، تقسيم سورية، الحرب، الثورة...)، وكما يشير التّحديد الزّمني والمكاني، في السيّاق إلى حقبة تاريخية عرفتها الدّولة السّوريّة، ومن التّحديد الزّمني المعينات الآتيّة: (وعندما حدثت نكبة فلسطين، في عام 1923 عندما عقدت فرنسا اتفاقيّتها) ومن المؤشر المكاني (في سورية...في فلسطين في تركيا).

وتحيل كلّ من المؤشّرات الزّمانيّة والمكانيّة إلى مواقف سياسيّة وأيديولوجيا ومنه فإنّ «الأيديولوجيا تتمفصل داخل النّص السّردي وفق نمطين مختلفين في الوجود وكلّ تمفصل يؤدّي إلى تجلّي خاص يفرض قواعد بنائه وصيّغه وأدواته فهو: إمّا تجلّي صريح لأيديولوجيا معيّنة وإما تحقيق لبنية دلاليّة صغرى لا تملك (ظاهريّا على الأقل)؛ أيّ مضمون أيديولوجي سابق

[1]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، دار جدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص 81.

على تحققها في السّياق...»[1]. ومن المقاطع السّابقة يمكن استخلاص الأثر الأكسيولوجي كما في الجدول الآتي:

الأثر الأكسيولوجي.		
السّياق	**خارج السّياق**	**القيّم المجرّدة**
– أفادت فرنسا من صمود الثّورة. – الجريمة علاقة بنشاط قاسم السّياسي، الجريمة سياسيّة تماما.	– فشل المقاومة أمام قوّة فرنسا. – قتل قاسم.	ثنائيّة(الحرية والعبودية) ثنائيّة (القوّة والضّعف) ثنائيّة (الحياة والموت)

وتشكيل القيّم المجرّدة للأثر الأكسيولوجي الدّلالي الذي يتجلّى لنا في المستوى العميق خارج سيّاق النّص السّردي، ومنه «فالمقولات الدّلاليّة التي لم تكن من قبل سوى قيّم لسانيّة ستتحوّل إلى قيّم أكسيولوجيّة (Valeur axiologiques) مودّعة في موضوعات تركيبية»[2].

ويتحدّد الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من خلال دور الشّخصيّة في البنية السّرديّة «فإذا لم تكن البنية السّرديّة باعتبارها الوعاء الذي ستصبّ فيه هذه الأيديولوجيا في منأى عن هذه الإرغامات فإنّ بناء الشّخصيّات – المحافل التي ستأخذ على عاتقها تحيين هذا الجهاز – ستبنى بطريقة تحافظ

---

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 56.

[2]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة) ص 83.

على نقاء وصفاء هذه الأيديولوجيا، وتبعا لذلك سنكون من جهة أمام إخراج سرديّ لمقولة أيديولوجيّة ومن جهة ثانيّة أمام تعريف أيديولوجي للشّخصيّات»[1].

فالشّخصيّة يتّخذها الرّوائي كحامل أيديولوجي، وفي الثّلاثيّة يمكن استخلاص الأثر الأيديولوجي من سلوك وفعل الشّخصيّة البطولي ومن ذلك الممثّل: ("صالح حزّوم"، و"الرّيس زيدان")، ويمكن استخلاص الأثر الأيديولوجي من القول المتلفّظ في الحوار أيّ الملفوظ، إذ نلحظ من خلاله الوعي الفكريّ والسّياسي والأيديولوجي للشّخصيّة، ومن الممثّلين: ("قاسم" "سيد"، "وليد") فهؤلاء الثّلاثة حاولوا إيصال الوعي السّياسي للممثّل "سعيد" لكن دون جدوى، فهو يجهل الأمور السّياسيّة، فالأوّل "قاسم" في حواره مع "سعيد" في اللاّذقيّة، والثّاني "سيد" من خلال حواره مع "سعيد" على متن باخرة كاسل، والثّالث "وليد" الذي كان حواره مع "سعيد" أثناء علاجه في دير الصليب للأمراض العصبيّة.

ومنه يمكن ضبط الدّراسة في قطبين: – الأوّل: حول الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لفعل الممثّل وهنا كلّ من: "صالح حزّوم"، و"الرّيس زيدان" والقطب الثّاني حول الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من ملفوظ الممثّل.

---

[1]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة) ص 112.

1-1- الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لفعل الممثل:

ونقف على استخلاص الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "صالح حزّوم"، والممثّل "الرّيس زيدان" كالآتي:

- **صالح حزّوم:** يتجسّد لنا الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من خلال فعل ووظيفة الممثّل "صالح حزّوم" كما في المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**صالح حزّوم العامل والبحّار وتلمس روح النّضال فيه، روح الواقع..**»[1] **(..) «..واستعاد الوالد بطبيعته الثّائرة كلّ سمات القائد الشّعبي الذي كانه في مرسين، هناك الأتراك وهنا الفرنسيون، الذّل واحد والعبوديّة واحدة، وجاء الجوع فطفح الكيل، ودفع الجميع إلى التّمرد إلى الاستهانة بالموت إلى الاستجابة لكلّ نداء يدعو إلى الثّورة إلى الخروج عن القانون وتحطيم حقّ الملكيّة المقدّس**»[2].

شارك "صالح حزّوم" في مظاهرة، إذ نلحظ تصويرا لحادثة مؤلمة شارك فيها مع المتظاهرين الذين طالبو بالعمل والخبز، ولكن المظاهرة انتهت بمجزرة، ومن ذلك المقاطع السّرديّة: «**خرج الحيّ ليهاجم السّراي كان المحرّضون في المقدّمة كانوا شجعانا، لا يبالون بالموت ويستهينون بالخطر كأنّما نذروا أنفسهم لأعمال كهذه ومشى الوالد معهم (...) ومشيت وراءه محمولا على أمواج الغضب الذي عصف الجميع (...) وراح قادة المظاهرة يطلقون الهتافات، ورفعوا يافطة كتبوا عليها (العمل والخبز) ومضوا**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 57.

[2]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 164.

بنا عبر الشّوارع إلى مقر المستشار (...) هناك كان جنود سود يحيطون بالسّراي وفي أيديهم البنادق وما أن اقتربنا حتّى أسندوها إلى صدورهم في وضع الاستعداد لإطلاق النّار، وتقدّم قادة المظاهرة يريدون دخول السّراي لتقديم عريضة، لكن الضّابط الفرنسي منعهم، أمر الجنود بإرجاعهم إلى الوراء، فلمّا رفضوا أمر بإطلاق النّار (...) اضطرب الحشد الكبير وتعالى دويّ الرّصاص مختلطا بصيحات المهاجمين وتساقط القتلى والجرحى... ذلك اليوم عرفت ما يعني الاحتلال وما تعني مقاومة الاحتلال وصار العدوّ واضحا لنا وصار السّلاح ضروريّا أكثر من الخبز لنا....»[1].

كانت هذه المظاهرة أوّل عمل شارك فيه "صالح حزّوم" ضدّ فرنسا ثمّ حمل السّلاح بعد ذلك، يقول عنه "سعيد": «**لمحت في يده مسدّسا، أخفاه في الحديقة...**»[2] (..) «**كنت أتصوّر كلّ صباح أنّ والدي يمكن أن يكون معلّقا في باحة السّراي الفرنسيّون طغاة، يقبلون كلّ شيء إلاّ حمل السّلاح ضدّهم، وها أنا فجأة اكتشفت أنّ والدي يحمل سلاحا...**»[3] (...) «**يتزعّم جماعة، ويخرج ليلا....**»[4].

وبدأ "صالح حزّوم" يشارك في مقاومة الاحتلال، حيث نجد "سعيد" يقول: «**وصدقت ظنوني، قتل حارس في السّكة الحديدية، قتل خفيران في الميناء**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 265، 266.

[2]– المصدر نفسه، ص 270.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

[4]– المصدر نفسه، ص 271.

وسمعت ذات صباح أنّ ضابطا فرنسيّا لقيّ مصرعه، وقيل أنّ جثمانه أرسل إلى فرنسا، ونهب بعد ذلك مخزن للحبوب (...) وتأكّدت أنّ ثمّة عصابات لا عصابة واحدة، وأنّ والدي بدأ والآخرون تبعوه، وأنّ الموت نفسه لن يوقفهم عن انتزاع لقمة أطفالهم من أشداقه...»[1]. لقد انتقم "صالح حزّوم" لضحايا المجزرة بقتل بعض الفرنسيّين ونهب مخزن الحبوب وقد اضطربت السّلطات الفرنسيّة وأمرت بإطلاق النّار فورا على المتمرّدين وفي أثناء ذلك اختفى والد "سعيد" نهائيّا «**جنّ جنون المستشار الفرنسي، ربط بين ما يجري في المدينة والحركات الثّوريّة في المدن الأخرى، أنزل الجنود سير دوريّات مسلّحة قام البوليس بغارات على الأحياء، وبخاصّة على حينا اعتقل بعضهم، قتل آخرون، واختفى الوالد نهائيّا...»**[2]. وكان آخر عمل "لصالح حزّوم" هو الغوص في الباخرة الغارقة التي تحمل تكنات الغاز لإنقاذ المدينة من الجوع فقد ضحّى بحياته في سبيل وطنه. ومن المقاطع السّرديّة نستخلص الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "صالح حزّوم" في الجدول الآتي:

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((صالح حزّوم العامل والبحّار وتلمس روحه النّضال	– عامل وبحار. – مناضل.	– الرّوح الوطنيّة.

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 271.

[2]– المصدر نفسه، ص 272.

فيه، وروح الواقع...)).	– واقعي.	
((استعاد...كلّ سمات القائد الشّعبي...الذّل واحد والعبوديّة واحدة...الاستجابة لكلّ نداء يدعوا إلى الثّورة إلى الخروج عن القانون...)).	– قائد شعبي. – الثّورة. – الخـــــــــروج عن القانون.	– المقاومة.
((وراح قادة المظاهرة يطلقون الهتافات، ورفعوا يافطة كتبوا عليها (العمل والخبز)... لكن الضّابط الفرنسي منعهم...أمر بإطلاق النّار...)).	– المظاهرة. – يافطة كتبوا عليها (العمل والخبز). – إطلاق النّار.	– الحقّ في الحياة. – الموت.
((اكتشفت أنّ والدي يحمل سلاحا...)).	– الكفاح. – حمل السّلاح.	– الحريّة.
((وجاء من أبلغنا أنه في الجبل))	أصبح من الثوار (مجاهد)	–البحث عن الحرية

قام "صالح حزّوم" بدور قويّ يتمثّل في مقاومة السّلطات الفرنسيّة وهو دور البطل المقاوم والمكافح لأجل وطنه، فالممثّل "صالح حزّوم" هو مؤشّر سيميائي للأثر الأيديولوجي والسّياسي في مقاومة ومكافحة الشّعب السّوري ضدّ الاحتلال والعبوديّة ومنه يمكن استخلاص المربّع السّيميائي لثنائيّة (العبوديّة والحريّة) كما في الشّكل الآتي:

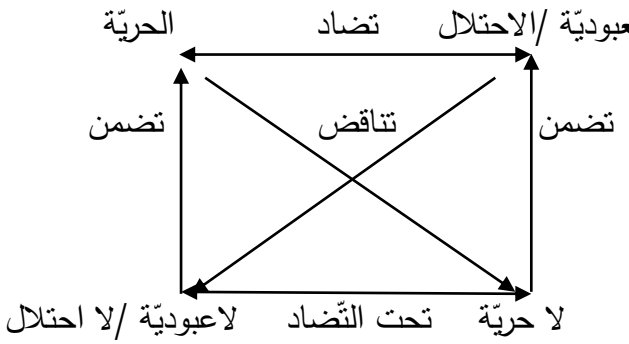

– **الـرّيس زيـدان:** يعد الممثّل "الرّيس زيدان" حاملا لبعد أيديولوجي سياسيّ، من منظور آخر، حيث كان يهرّب السّلاح من سورية إلى فلسطين ودليل ذلك المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**صار الرّيس زيدان مندفعا الآن، يتكلّم عن ميوله السّياسيّة دون خوف، يناصر ألمانيا علنا...**»[1] (...)، «**جاء حساب الرّيس زيدان ومركبه...ففي إحدى سفراتنا على طول الشّواطئ باتّجاه مصر نسفت غوّاصة مجهولة (وقيل إنّها إنجليزيّة) المركب، قتل الرّيس زيدان وبعض بحّارته...**»[2] (...)، «**اعتبروا موت الرّيس زيدان أمرا لا بدّ منه، بسبب ما كان يقوم به من أعمال خطيرة، أنا لم أعرف ماذا كان يعمل وإن كنت في ذاتي قد شككت بأنّه يهرّب سلاحا إلى فلسطين، كان يعمل ضدّ الإنكليز (...) الرّيس زيدان كان سياسيّا أكثر منه تاجرا أو قرصانا..**»[3].

ويمكن تحديد كلّ من الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "الرّيس زيدان" في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 138.

[2]– المصدر نفسه، ص 140.

[3]– المصدر نفسه، ص 159.

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((يتكلّم عن ميوله السّياسيّة دون خوف...)).	النّشاط السّياسي.	التّوعيّة.
((يهرب سلاحا إلى فلسطين كان يعمل ضدّ الإنكليز)).	مساعدة فلسطين.	لأجل الحرية.
((يناصر ألمانيا علنا)).	مناصر لألمانيا.	شجاعة.
((جاء حساب الرّيس زيدان ومركبه)).	حساب الرّيس زيدان (قتله).	الموت.

وتبرز شخصيّة "الرّيس زيدان" باعتباره ثوري، إذ يقوم بتهريب السّلاح ومناصرة ألمانيا، وللممثّل دور وأثر أيديولوجي عميق فهو مؤشّر سيميائي حول مساعدة الشّعب السّوري أو الدّولة السّوريّة للقضيّة الفلسطينيّة.

1-2- الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لملفوظ الممثل:

وفي هذا القطب نجد ثلاثة ممثّلين كان لهم الدّور في محاولة توعيّة "سعيد حزّوم" سياسيّا وأيديولوجيّا، والممثّلون هم: ("قاسم"، و"سيّد"، و"وليد") ويمكن تحديدهم كالآتي:

– **قاسم:** يحمل الممثّل "قاسم" الأثر الأيديولوجي من خلال حديثه وكلامه عن الأمور السّياسيّة مع "سعيد"، إذ يقول عنه "سعيد": «**مسكين قاسم...راح ضحيّة نشاطه السّياسي والنّقابي! »**[1]. (...) «**والدي...فضّل عليه طريقة أخرى للخروج بالسّلاح على القانون، وقاسم اتّبع طريقا آخر: العمل الحزبي توعيّة العمّال، تأليف النّقابات...»**[2]. ومن خلال حوار "قاسم" مع "سعيد" نجد الملفوظ السّردي: «**...كلّ صوت احتاج، كلّ كلمة مقاومة كلّ فعل ضدّ المحتل، يؤدّي مستقبلا إلى نتيجة...»**[3] (..) «**في سورية ولبنان سنخوض الانتخابات... – سألته مندهشا:**

– من أنتم؟

– **حزب العمّال والفلاّحين...»**،[4] ويقول "سعيد" عن "قاسم": «**أعطاني في آخر لقاء بيننا منشورا قال إنّه الميثاق الوطني لحزبه، كان عنوان الميثاق (وطن حرّ وشعب سعيد)..»**.[5] ومن الملفوظ السّردي لهذه المقاطع نحدد القيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة للممثّل "قاسم" في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 187.

[2]– المصدر نفسه، ص 193.

[3]– المصدر نفسه، ص 143.

[4]– المصدر نفسه، ص 144،145.

[5]– المصدر نفسه، ص 154.

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((راح ضحيّة...نشـــاطه السّياسي والنّقابي)).	– النّشاط السّياسي.	– التّوعيّة.
((العمـل الحزبـي توعيّـة العمال، تأليف نقابات)).	– الحزب السّياسي.	– التّوعيّة.
((كلّ فعل ضدّ المحتل يـؤدّي مسـتقبلا إلـى نتيجة)).	– فعل ضدّ المحتل. – مقاومة.	– لأجل الحريّة.
((فـي سـورية ولبنـان سنخوض الانتخابات)).	– الانتخابات. – ديمقراطيّة.	– الحريّة. – العدل.
((حـزب العمـال والفلاّحين)).	– نشـاط العمّـال والفلاّحين.	– التّوعيّة.
((الميثاق الوطني لحزبه كان عنوان الميثاق (وطن حرّ وشعب سعيد)...)).	– الميثـاق الـوطني (وطـن حـرّ وشـعب سعيد).	– الحريّة والسّعادة.

ومن خلال المقاطع السّرديّة يبرز لنا الممثّل "قاسم" ميوله السّياسيّة فهو كمؤشّر سيميائي لحزب العمّال وحركته ونشاطه في الدّولة السّوريّة ضدّ الاحتلال.

– **البحّار سيّد:** تعرّف الممثّل "سعيد" على متن باخرة (كاسل) على بحّار يدعى "سيّد"، ومن خلال حوار "سعيد" مع البحّار "سيّد" نلحظ الأثر الأيديولوجي والسّياسي للشّخصيّة كالآتي: «**غدا ترحل بريطانيا عن مصر وينتهي الأمر...– يا ليت...المشكلة أعقد يا سعيد....لدينا الآن إسرائيل...وماذا يهم؟ دولة صغيرة في قلب عالم عربي كبير.. ابتسم سيّد: – المشكلة ليست فيها ذاتها بل في أمريكا التي تحميها وفي بريطانيا التي سلّمتها فلسطين...**»[1] (...) «**الذي أعرفه أنّ سيّد اشتراكي، قال: هو كذلك، وكان مؤمنا بالاشتراكيّة طوال حياته...**»[2].

وتتحدّد القيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة من خلال الملفوظ السّردي في الجدول الآتي:

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسّية	القيّم المجرّدة
((المشكلة أعقد يا سعيد....لدينا الآن إسرائيل)).	– العدوان الإسرائيلي. – الحرب.	– العبوديّة والاحتلال.
((أمريكا التي تحميها وفي بريطانيا التي	– العدوان الثّلاثي. – الحرب.	– العبوديّة والاحتلال.

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 270.

[2]– المصدر نفسه، ص 363.

سلمتها فلسطين)).		
((الـذي أعرفـه أنّ سـيّد اشتراكي)).	– اشتراكي.	– شيوعي.

ومن الملفوظ السّردي للمقاطع تتحدّد القيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة المسار الذي يتبعه البحّار "سيّد" إذ يحمل مؤشرا سيميائيّا للاشتراكيّة، والتّفكير الشّيوعي المتسرّب في أذهان البحّارة.

– **وليـد:** يحمل الممثّل "وليد" الأثر الأيديولوجي من خلال الملفوظ السّردي الذي يتجلى لنا أثناء حواره مع "سعيد" في دير الصّليب للأمراض العصبيّة ودليل ذلك المقاطع السّرديّة: «**إذا قويت حركة التّحرّر العربيّة ازداد التّقدم الاجتماعي...**»[1]، ويقول "وليد" "لسعيد": «**...النّجاح الكامل يتوقّف على تطوّر حركة التّحرر الوطني العربيّة، وتطوّر هذه الحركة مرتبطة بتطوّر البروليتاريا العربيّة التي هي مثل حركة التّحرّر في طور التّكون...**»[2] ويقول أيضا: «**قبل جلاء فرنسا من جهة ثانيّة...وكانت الحركة العماليّة أساس هذا الصّراع، كان لها مصلحة في جلاء المستعمر...صراع التّحرّر الوطني صراع طبقي أيضا....**»[3]. ويمكن ضبط القيّم الحسيّة والقيّم المجرّدة للأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "وليد" في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 385.

[2]– المصدر نفسه، ص 392.

[3]– المصدر نفسه، ص 393.

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((إذا قويت حركة التّحرّر العربيّة ازداد التّقدّم الاجتماعي)).	– حركة التّحرّر العربيّة. – التّقدّم الاجتماعي.	– الحريّة. – التّنميّة.
((النّجاح الكامل يتوقّف على تطوّر حركة التّحرّر الوطني العربيّة، وتطوّر هذه الحركة مرتبطة بتطوّر البروليتاريا العربيّة)).	– تطوّر حركة التّحرّر الوطني العربيّة...	– الحريّة – التّوعيّة.
((قبل جلاء فرنسا كان الصّراع بين العمّال والإقطاع والبرجوازيّة من جهة، وبين فرنسا من جهة ثانيّة...وكانت الحركة العماليّة أساس هذا الصّراع... صراع التّحرّر الوطني صراع طبقي)).	– الحركة العماليّة.	– الحريّة.

ومن الجدول تحدّدت القيّم الحسيّة (التّحرر، التّقدم الاجتماعي، حركة التّحرر الوطني، الحركة العماليّة) والقيّم المجرّدة (الحريّة، التنميّة، التّوعيّة) الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "وليد" من خلال الملفوظ السّردي ولعلّ اضطراب وتوتّر "وليد" ووجوده في الدّير للعلاج هو مؤشّر سيميائي في المستوى العميق لوجود حركة التّحرر الوطني والصّراع الطبقي والبحث عن الحلول لذلك في الدّولة السّوريّة.

وعلى هذا الأساس عبر الممثّلون عن الفكر الأيديولوجي للرّوائي «إذ تقوم الملفوظات السّرديّة بتشخيص القيّم المنتقاة داخل الملفوظات الوصفيّة والتّشخيص هنا معناه الانتقال بالقيّم من وضعها المقولي المجرّد وطرحها كسلوك صادر عن ممثّل أو مجموعة ممثّلين، ولعلّ هذا يفسّر كون عمليّة التّمييز الأولى تمّت من خلال الفعل الوصفي في حين تمّ التّمييز الثّاني من خلال الفعل السّردي»[1]؛ أيّ تمّ استخلاص القيّم المجرّدة للأكسيولوجيا والقيّم الحسيّة الأيديولوجيّا للممثّلين من خلال الفعل أو الوظيفة كما في الممثّلين: ("صالح حزّوم"، و"الرّيس زيدان") أو من خلال الفعل السّردي أو الملفوظ، كما في الممثّل ("قاسم"، و"البحّار سيّد"، و"وليد").

وفي دراسة الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من البنية السّرديّة نلحظ أنّ الرّوائي استعان بالوقائع والأحداث التّاريخيّة التي عرفتها سورية أثناء وبعد

---

[1]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، ص 144.

الحرب العالميّة الثّانيّة إذ نلمس التّداخل الفنّي والتّاريخي السّياسي لبعض المقاطع السّرديّة من الثّلاثيّة.

2- الأثر السوسيوثقافي:

ومن الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي نقف على دراسة الأثر السوسيوثقافي من الثّلاثيّة، وذلك من خلال القيّم التي نستخلصها من وجود الوحدات الدّلاليّة الواردة في السّياق ومن فعل الممثّل أو من ثنائيّة الزّمان والمكان أو الرّموز أو أيّ مؤشّر للسّلوك الإنساني «(فالسّلوك الإنساني هو سلوك رمزي في جوهره ولا يمكن للسّلوك الرّمزي أن يكون سوى سلوك إنساني)، وبهذا المعنى فإنّ الثّقافة ذاتها ليست سوى نسيج مركّب من الأنظمة الرّمزيّة على حدّ تعبير "كلود ليفي ستروس"»[1].

ويتوجّب على الفرد «أن يتمثل في سلوكه لمقتضيات أخلاق مجتمعه وألاّ يتجاوزها أو يخرقها أو يسيء إليها من الصّور التي تحيل على الكون (الامتثاليّة الاجتماعيّة)»[2]؛ أيّ الحفاظ على العادات والتّقاليد والموروث الثّقافي، فالشّخصيّة «ليست وليدة التّجلّي، كما أنّ إدراكها ليس مرتبطا بالمستوى السّطحي المحايث على شكل قيّم ومواصفات ولا يقوم المستوى السّطحي إلاّ بتخصيصها عبر صبّها داخل السّياق الخاص الذي يحدّده النّص الثّقافي، وبعبارة أخرى، فإنّ القيّم الخالقة للشّخصيّات تنفجر في بنية تصويريّة

---

[1]- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 178.

[2]- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، ص81.

على شكل مجموعة من العناصر هيّ ما يشكّل خصائص الشّخصيّة ضمن وضعيّة إنسانيّة تتميّز بعملها المحلّي أيّ سيّاقها الثّقافي الخاص»[1]. ومنه يمكن ضبط الأثر السوسيوثقافي إمّا على مستوى الدّال أو على مستوى المدلول للشّخصيّة أو المستويين معا[2]، وفي الثّلاثيّة نقف على الممثّلين: (البحّار ("سيّد"، والأستاذ "وليد"، والطّبيب "خالد") لاستخلاص الأثر السوسيوثقافي كالآتي:

- **البحّار سيّد:** يعدّ الممثّل "البحّار سيّد" -بالإضافة إلى كونه اشتراكيّا- هو صاحب حكايات بحريّة، فهو (حكاواتي) بمفهوم الثّقافة الشّعبيّة للمجتمع السّوري، حيث يسرد الحكايات البحريّة ومغامرات البحّارة لقبطان باخرة كاسل والبحّارة، فهو كموسوعة لعالم المحيطات والبحر، كما وصفه "سعيد حزّوم" أثناء سماعه لوصف الكائنات البحريّة في أعماق البحر، وفي الآن نفسه نجده اشتراكيّا ويريد توعيّة "سعيد" ثقافيّا وسياسيّا، ونجد "سعيد" كما في الملفوظ: «**كان سيّد في الظاهر صاحب حكايات بحريّة كان يحفظ منها الكثير، ويرويه ويستمتع بحفظه وروايته، وعن هذا السّبيل يتقرب إلى الآخرين، يدخل قلوبهم ... يقول لهم: انظروا...هكذا عاش أجدادنا البحارة..**»[3].

---

[1]- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، ص 101، 102.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 102.

[3]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 253.

ومن النّص نلحظ أنّ الممثّل "سيّد" يمتلك مخزونا فكريّا، وثقافيّا أدبيّا في قدرته على حفظ وروي الحكايات البحريّة، وذلك من خلال الوحدات الدّلاليّة: **(صاحب حكايات بحريّة، يحفظ منها الكثير، يرويه، يستمتع بحفظه وروايته)** وهو مؤشّر لاهتمام البحّارة خاصّة الشّباب منهم بالحكايات البحريّة القديمة للامتثال بها والأخذ بالعبرة والحكمة منها، فاستغلّ واستثمر البحّار "سيّد" هذه المقدرة التي يمتلكها للتقرّب من البحّارة من جهة ولحثّهم على الاشتراكيّة ونشرها من جهة ثانيّة.

– **الأستاذ وليد:** يعدّ الممثّل "وليد" أستاذا وباحثا اجتماعيّا اضطربت حالته النّفسيّة فدخل دير الصّليب للأمراض العصبيّة يقول عنه سعيد: «**وليد...كباحث اجتماعي يرى الأمور السّياسيّة واضحة كالأمور الاجتماعيّة ...**»[1] نجده يتكلّم مع "سعيد" عن الواقع الاجتماعي، وعن حركة التّحرّر العربيّة فيقول: «**إذا قويّت حركة التّحرر العربيّة ازداد التّقدّم الاجتماعي....**»[2] (..)، «**قبل جلاء فرنسا، كان الصّراع بين العمّال والإقطاع والبرجوازيّة من جهة، وبين فرنسا من جهة ثانيّة....وكانت الحركة العماليّة أساس هذا الصّراع...**»[3].

فالممثّل "وليد" باعتباره أستاذ وباحث اجتماعي فهوّ مهتمّ بالجانب السوسيولوجي في سورية، ومن القيّم الدّالة على الأثر السوسيولوجي في السّياق

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 397.

[2]– المصدر نفسه، ص 385.

[3]– المصدر نفسه، ص 393.

نـذكر: (باحـث اجتمـاعي، الأمـور الاجتماعيّـة، التّقـدم الاجتمـاعي، العمّـال الإقطـاع، البرجوازيّـة، الحركـة العمّاليّـة..) ويبقـى وليد كمؤشّـر سيميائي لوجود الصّراع الطّبقي وحركة التّحرّر.

– **الطّبيـب خالـد:** للطّبيـب "خالـد" دور اجتمـاعي فعّـال فـي تغلّـب "سـعيد" على أزمته النّفسيّة، حيث «**نقل سعيد بعد هذا الانفجار النّفسي إلى مستشفى دير الصّليب للأمراض العصبيّة، تمركزت أزمته حول الخوف...**»[1] (...) «**الطّبيـب خالـد أشـرف علـى علاجـه، اسـتمع إلـى أخيـه الـذي حملـه إلـى الـدّير...**»[2]، وللممثّل خالد دور سوسيولوجي من خلال مهنته كطبيب في دير الصّليب للأمراض العصبيّة.

ويمكن استخلاص القيّم السوسيولوجيّة من الوحدات الدّلاليّة من خلال انفتاح ذاكرة "سعيد" على الماضي، وتذكر حال مدينة اللاّذقيّة «**ثـمّ جـاءت الكريـزة. والبطالـة ومعهـا الفقـر والجـوع...**»[3] (...)، «**كانـت حالـت العمّـال بائسة، وقد ازدادت زمن الحرب بؤسا، عمت البطالة وبدأت أزمة الكاز والسّكر والأرز وباختصـار بتنـا نعـيش ظـروف الحـرب دون أن نراهـا...**»[4]. وأثنـاء خروج "سعيد" من السّجن قدّم البحّارة والجيران للسّهر عنده فسمع أخبار الحيّ

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 377.

[2]– المصدر نفسه، ص 378.

[3]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 204.

[4]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 138.

والمدينة نجده يقول: «**سمعت حكايات كثيرة عن الحيّ وأهله والميناء والبحر والشّغل والأزقّة، عن أيّام الجوع والبطالة، والتّشرّد...**»[1].

ومن المقاطع السّردية نلحظ الأثر السوسيولوجي من خلال الوحدات الدّلاليّة (**الكريزة، البطالة، الفقر، الجوع، حالة العمال بائسة، عمّت البطالة بدأت أزمة الكاز والسّكر والأرز، التّشرّد**)، وتشكّل هذه الوحدات الدّلاليّة القيّم للأثر السوسيولوجي وتصوير وضعيّة البلاد أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة بالانتقال من حالة إيجابيّة إلى حالة سلبيّة مزرية للواقع المعيش، ممّا أدّى بالهجرة، فكانت هذه الأخيرة الانتقال من وضعيّة الاستقرار إلى وضعيّة اللاستقرار كما في الملفوظ السّردي: «**في اللاّذقيّة لم نعثر على بيت هناك بيوت كثيرة، لكنّها لمهاجرين أمثالنا خرجنا من اللّواء في هجرة عامّة على متن سفينة شحن عتيقة حملت الآلاف من الرّجال والنّساء والأطفال دفعة واحدة، وألقت بهم مع المتاع الذي يحملونه على شاطئ اللاّذقيّة هنا في سورية، وهناك في اسكندرونة..لم يهتم الفرنسيّون بنا...**»[2].
فكانت الهجرة تمثّل الهروب من الواقع المعيش والبحث عن الأمن والاستقرار والعدالة الاجتماعيّة، ومنه فالثّلاثيّة كما حملت قيّما أيديولوجيّة وأكسيولوجيّة تعبر عن الوعي الفكري فإنّها تحمل قيّما سوسيوثقافيّة، وعليه كانت بنية بعض المقاطع السّرديّة تصويرا للكفاح والمقاومة وكذا الواقع المعيش والبحث عن العدالة الاجتماعيّة في المجتمع السّوري أثناء وبعد الحرب العالميّة الثانيّة.

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 113.

[2]– المصدر نفسه، ص 117.

وعلى هذا الأساس كانت الدّراسة في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة في ضبط الوحدات الدّلاليّة المعنويّة الصّغرى من السّيم النّواتي، والسّيم السّياقي وكذا اللّكسيم الباتيمي، ثم تحديد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة والباتيميّة انطلاقا من وجود ثنائيّة (التّشاكل والتّباين)، ومن خلال العلاقة بين الوحدات يمكن استخلاص المربّع السّيميائي والمربّع الباتيمي، ثمّ حدّدنا البنية في المستوى العميق من خلال ضبط قيّم الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي والسوسيوثقافي من تنظيم الوحدات الدّلاليّة في النّسق السّياقي للمقاطع السّرديّة وكذا فعل وملفوظ القول للممثّل، وربط ذلك بالأثر السّيميائي.

فكانت الثّلاثيّة سيرة ذاتيّة لحكاية البحّار "سعيد" في رحلة بحثه عن والده "صالح حزّوم"، تتضمّنها الكثير من المشاهد الواقعيّة والأحداث السّياسيّة والتّاريخيّة للشّعب السّوري أثناء وبعد الحرب العالميّة الثّانيّة، من خلال انفتاح الذّاكرة على الماضي نحو الصّراع الطّبقي، وحالة أهل اللاّذقيّة وحالة البحّارة في الميناء والأزمة والفقر والهجرة إلى تصوير الكفاح والمقاومة والوعي الاشتراكي في اللاّذقيّة في البحر والمرفأ البعيد لليونان وبذلك كانت الثّلاثيّة تعكس تجارب من ماضي حياة وكفاح وسيرة لحكاية بحّار.